حكومة اقليم كوردستان - العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج والمطبوعات

تاريخ الحضارات

للصف العاشر الادبي

تأليف : د. محمد صالح الزيباري   د. قادر محمد پشدەرى
د. زرار صديق توفيق

المراجعة العلمية : د. قادر محمد پشدەرى   د.عبد الحكيم احمد مام بكر

الطبعة الحادية عشر   ٢٠١٥ ميلادية   ٢٧١٥ كوردية   ١٤٣٦ هجرية

الاشراف العلمي: عبيد خضر فتح الله

المشرف الفني على الطبع: عثمان پيرداود – ئارى محسن احمد

التصميم الداخلي والغلاف: زاگرۆس محمود عرب

التنقيح الفني: ئارى محسن احمد

المقدمة

يسرنا أن نضع بين أيدي طلبتنا الاعزاء في أقليم كوردستان العراق والطلبة الكورد خارج الاقليم الذين يدرسون باللغة الكوردية كتاب تاريخ الحضارات الذي يتناول البدايات الاولى للحضارة البشرية وتطورها عبر العصور التاريخية حتى وصلت الى مستواها الحالي من الرقي، متمثلة بعصر الثورة المعلوماتية عن طريق الكومپيوتر والانترنيت، فبات حاضرنا جديراً بأن نسميه بعصر العولمة.

الفصل الاول

أ/ الحضارة

تعريف الحضارة: لم يتفق الباحثون على إعطاء تعريف دقيق للحضارة، فثمة مصطلح culture الذي يعني الثقافة ومصطلح (civilization) الذي يعني المدنية او التمدن. ويشير مصطلح حضارة (شارستانيهت) في اللغة الكوردية الى التمدن يعني به سكان المدن واسلوب معيشتهم، الا أنه يفيد بالمعنى الواسع السكان المستقرين كافة في المدن والريف.

اشار بعض الباحثين بان الحضارة عبارة عن الجوانب المعنوية للسكان وذكر اخرون بانها تعني الجوانب المادية. ويمكن اعطاء الحضارة التعريف الاتي:

الحضارة عبارة عن جميع المنجزات التي حققها الانسان في مجال الفكر والثقافة والفن والعمران وما حققه من المنجزات في حقل الحياة الاقتصادية من زراعة وتجارة وصناعة وتطوير طرق المواصلات ووسائل الاتصالات.وعند دراسة التاريخ الحضاري ينبغي ان ناخذ بنظر الاعتبار مايلي:

اولاً: الحضارة الانسانية الحالية التي نعيش في كنفها ونتمتع بمنجزاتها، نمت وتطورت بصورة تدريجية و بطيئة وترجع جذورها الى الاف السنين.

ثانياً:ساهمت شعوب العالم كافة في بناء الحضارة الانسانية بنسب متفاوتة.

ثالثاً: اقتبست شعوب العالم العديد من المظاهر الحضارية من بعضها البعض

رابعاً: انتشرت المظاهر الحضارية بين شعوب العالم بسرعة وبقيت متأصلة لديها لفترت متباينة.

خامساً: لعبت البيئة الطبيعية دوراً بارزاً في نشوء الحضارات ومدى تطورها ونوعية المظاهر الحضارية ومدى انتشارها.

سادساً: ترجع جذور العديد من المظاهر الحضارية، لاسيما العادات والتقاليد وانماط من السلوك الى العصور الماضية.

سابعاً: تتغير بعض المظاهر الحضارية او تتلاشى بالتدريج تبعاً لتغير المجتمع البشري.

ثامناً: ينبغي ابعاد الصفة المحلية او الوطنية او القومية او الاقليمية عن المنجزات الحضارية لانها تتسم بالشمولية والتوسع والانتشار بين شعوب العالم ومن المفضل اعطاء تلك المنجزات الصفة الانسانية ونطلق على المنجزات الحضارية التي حققها الانسان عبر تاريخه بالحضارة الانسانية بغض النظر عن المكان والزمان وتكون الاديان أساس الحضارات وهذا لايعني لحال من الاحوال عدم وجود خصوصية لبيئة حضارية معينة تميزها عن أخرى.

ب/حضارة كوردستان

الثورة الزراعية: عاش الانسان في جبال كوردستان منذ أقدم العصور (قبل اكثر من ٦٠ الف سنة)، متخذاً من كهوفها مسكناً له واعتاد على الصيد وجمع ثمار الاشجار وبذور النباتات وعاش حياة بدائية متنقلة بعيدة عن التحضر لفترة طويلة جداً. وبعد ان اهتدى الى الزراعة في حدود الالف التاسع قبل الميلاد، تغيرت حياته وبدأ يميل الى الاستقرار وبنى له بيتاً قرب حقله الزراعي وتجمعت عدة بيوت لتشكل نواة القرى الزراعية وتلك هي بداية الحضارة.

وتعد تلك القرى الزراعية في براري كوردستان اولى المراكز الحضارية في العالم، ويمكن اعتبار قرية چەرمۆ قرب جمجمال الحالية نموذجاً لتلك القرى. عاصر سكان چەرمۆ، فلاحون اخرون في قرية نمريك جنوب ناحية فايدة (فەیدیی) في محافظة دهوك.

مارس سكان القرى الزراعية الاولى زراعة الحبوب مثل القمح والشعير والعدس، حيث عثر على حبوب متفحمة في چەرمۆ، وبنوا بيوتهم من الطين والحجر واهتموا بتدجين الاغنام والماعز والابقار وطوروا الاتهم وادواتهم الزراعية والمنزلية، اذ استخدموا في صناعتها بالاضافة الى الحجر العظام والطين والقير. ثم ظهرت صناعة الاواني الفخارية والمناجل الفخارية والمغازل الفخارية ودخل الانسان بذلك طور صناعة الفخار.

واختصت المرأة بالاعمال المنزلية وتربية الاطفال وكان الرجل مسؤولاً عن توفير الطعام ويعمل في حقله الزراعي ويتعاون مع أقرانه، لحماية الحقول والقرية وظهر بالتدريج حب التملك والسيطرة. وبسبب حاجة الزراعة الى الالات والادوات باستمرار بغية تطوير الانتاج، اختص بعض الناس بعمل تلك الالات

والادوات، فضلاً عن تطوير الحاجات المنزلية لذا ظهر نوع من التخصص في العمل حيث اختص بعض الناس بانتاج تلك الالات والادوات واتاح ذلك التخصص ظهور خاصية المبادلة عن طريق المقايضة اذ كان صانع الالات والادوات يبادل ما يعمله مع المزارعين بكمية معينة من الحبوب عن كل الة وهكذا ظهرت التجارة واصبح الشعير او الصوف وسيطاً للتبادل التجاري، لان الانسان لم يعرف استخدام النقود حتى القرن السادس ق.م.

واذا ما اعتبرت عمل الات والادوات نوعاً من الصناعة، يمكن القول بان الاهتداء الى الزراعة تعد ثورة اقتصادية ادت الى قيام الصناعة والتجارة وعمليات التبادل ونقل البضائع والمنتجات من منطقة الى اخرى، مما ادى الى الاهتمام بوسائل وطرق النقل، ثم التفكير جدياً في وجود وسيلة للمبادلة فاصبح الفضة وسيطاً للتبادل لفترة طويلة، ثم فكر الانسان باستخدام النقود ونجح ملك مملكة ليديا في آسيا الصغرى كراسوس (قارون) (٥٦٠ –٥٤٦ ق.م) في ان يسك النقود من الفضة والذهب ثم عم استخدامها في مناطق العالم الاخرى.


نماذج من العملة القديمة

وكان الانسان بحاجة الى حماية القرية والحقول الزراعية من الحيوانات الغير غير المدجّنة او من افراد المجموعات البشرية غير المستقرة، فظهرت الحاجة الى صناعة الاسلحة للدفاع عن القرى الزراعية وحقولها وكذلك اقامة التحصينات الدفاعية من اسوار وخنادق، فضلاً عن تعاون الرجال في ذلك الجانب. فظهرت اولى بوادر اعداد قوة مسلحة او ما يعرف بالجيش في الوقت الحاضر.

ويحق لنا أن نسأل: لماذا ظهرت الزراعة في براري كوردستان قبل غيرها من مناطق العالم الاخرى؟ والجواب هو: ان الظروف البيئية الملائمة من التربة ومياه الامطار، ساعد على نمو الحبوب البرية في وديان كوردستان الخصبة، وكان الانسان يجمع تلك الحبوب ليقتات عليها ومن المحتمل جداً ان بعض تلك الحبوب سقطت بالقرب من مناطق اقامته ونمت بالقرب منه فجلب ذلك انتباه الانسان وانتبه الى عملية النمو، ثم قام بزراعتها. ويعتقد بان المرأة هي التي اكتشفت تلك العملية للمرة الاولى لانها كانت تقوم بجرش الحبوب البرية وتنظيفها وطحنها واعداد الطعام منها. اما في المناطق الاخرى من العالم مثل وادي النيل،فأنها لم تحظ بنمو الحبوب البرية فيها، لذا سبق سكان كوردستان القدماء الاخرين في الاهتداء الى الزراعة ويمكننا الاعتبار الاهتداء الى الزراعة بالثورة الزراعية او الانقلاب الزراعي؟ **الجواب:** لان الاهتداء الى الزراعة غير مسار الحياة البشرية، اذ ساعدت على استقرار الانسان ونباء القرى التي انتشرت وتوسعت مع مرور الزمن ونشأت المدن وتكونت العلاقات الاجتماعية ودفعت بالانسان الى حياة التحضر. بمعنى اخر اصبح الزراعة مفتاحاً لبناء الحضارة، غيرت مجرى الحياة الانسان لذلك يمكن اطلاق صفة الانقلاب عليه مثلما اطلق مصطلح الانقلاب على قيام الصناعة في اوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي.

انتشار القرى الزراعية: انتشرت القرى الزراعية باتجاه جنوب كوردستان مثل قرية حسونة في جنوب مدينة الموصل التي عاصرت قرية شمشارة في سهل رانية وتل الصوان قرب سامراء وچوخەمامى قرب مندلي. وبدأت المراكز الحضارية تنتشر في وسط وجنوب العراق والمناطق المجاورة. وفي الفترة اللاحقة (الالف السادس ق.م) عثر على قرى زراعية في غرب كوردستان مثل تل حلف على نهر الخابور في سوريا والاريجة في نينوى وتپەسراب قرب كرماشان في شرق كوردستان. وفي النصف الثاني من العصر الحجري المعدني (٥٦٠٠– ٣٥٠٠ ق.م) ظهرت القرى الزراعية في جنوب العراق ومنها مراكز تل العبيد وتل الحاج محمد. ورافق انتشار القرى الزراعية تطور حضاري ملموس تمثل في عدة جوانب منها: حفر قنوات الري، حيث عثر في چوخەمامى على شبكة منها، كما ظهر نوع من العبادة لدى الانسان، فقد عثر اثناء التنقيبات الاثرية، على دمى طينية تمثل الالهة الام في چەرمۆ وتپەسراب والاربجية وتم تقديسها باعتبارها رمز التكاثر. وتم العثور على ادوات استخدمتها النساء للزينة، مصنوعة من الحجارة والاصداف والعظام. وشاع استخدام المعادن في اواخر الالف السادس ق.م. وتم العثور على ادوات مصنوعة من المعادن في تل حلف وتپەگورا،حيث تم العثور على ادوات الخزاف في صناعة الاواني الفخارية وتمت صناعة الاختام الاسطوانية في اواخر العصر الحجري المعدني وتم بناء المعابد في جنوب العراق وفي تپەگورا واهتدى الانسان الى الكتابة الصورية في جنوب العراق في حدود (٣٢٠٠ ق.م) واصبحت تستخدم في تدوين الحوادث في حدود سنة ٢٨٥٠ق.م وبذلك بدأت مرحلة العصور التاريخية.

٢ - سكان كوردستان:

اشارت الكتابات السومرية والاكدية في الالف الثالث ق.م. الى سكان كوردستان القدماء وسميت كوردستان في تلك الكتابات (ببلاد سوبارتو) واطلق على سكانه تسمية (السوباريين) او (السوبارتيين)، كما اطلقت عليهم تسميات اخرى مثل (اللولوبيين)و(الگوتيين) وفي الفترات اللاحقة ورد اسم (الخوريين) و(الكاشيين) و(الميتانيين). وفي الالف الاول ق.م اشارت الكتابات البابلية والاشورية الى الاورارتيين والميديين والمانيين والزكرتو.

اختلط سكان كوردستان بعضهم مع البعض الاخر ومع الاقوام المجاورة وتعرضت أرضهم لغارات وغزوات السومريين والبابليين والاشوريين ثم لغزوات الفرس والاغريق واورد المؤرخ الاغريقي زينفون اسم الكورد في كتابه(Anabasis)– نحو الشمال – سنة ٤٠١ ق.م.

وبغية المام الطلبة بمنجزات أجدادهم القدماء سيتم التطرق الى الاقوام الكوردستانية ودورهم الحضاري بايجاز .

اولاً :اللولوبيون

ورد اسمهم في الكتابة المسمارية بهيئة لولوبي – لولومى – لولو. وتعد منطقة شهرزور موطنهم الاصلي، ثم انتشروا نحو الجنوب وسيطروا على المناطق المحيطة بنهر سيروان (ديالى) وسفوح جبال زاگروس الغربية وانتشروا في جنوب كورستان واختلطوا مع الگوتيين في المناطق الواقعة الى الشرق من نهر الزاب الصغير.

مسلة النصر
نرام سين

تعــرض اللولوبيــون لهجمــات الدولــة الاكديــة حيــث هــاجم الملــك الاكدي نرام سـين (٢٢٩١ — ٢٢٥٥ ق.م) منطقة شـهرزور وتـرك مسـلة في ممر جبلي بـ(دربندي گاور) قرب قرداغ بسبب وجـود تلـك المنحوتـة سميــت بهــذا الاســم. وتصــور المنحوتـة الصـخرية انتصـار الملـك الاكدي علـى اللولـوبيين. ويبـدو ان الحـرب كـان سجالاً بـين الطـرفين، حيـث تشـير الادلـة التاريخيـة بـان ملــك اللولــوبيين آنوبــانيني الحــق الهزيمـة بجـيش الملـك نـرام سـين، وترك ذلك الملك منحوتـة في منطقـة ســربيل زهــاو وهــو يلــبس التــاج الملكي ويظهر واقفاً أمام الألهة عشتار ليشكرها على دعمها له حسب إعتقادهم في ذلك الوقت.

ثانياً : الگوتيون

إستقر الگوتيون في إقليم كوردسـتان العـراق وبـرز دورهـم التـاريخي في أواخـر الالـف الثالـث ق.م، بعـد أن إنتشـروا في المنـاطق السـهلية الممتـدة مـن الـزاب الصغير وحتى نهر ديالى وأصبحت أرابخا (كركوك الحالية) من أهم مراكزهم، ثم

سيطروا على كل العراق عندما رأوا ضعف الدولة الأكدية وحكموا العراق نحو (١٢٥) سنة حيث بلغ عدد ملوكهم حسب قائمة جداول الملوك السومرية(٢١) ملكاً وكان معدل حكم ملوكهمست سنوات فقط مما يدل على أنه كان يتم إنتخاب الملك أو إختباره لفترة قصيرة.

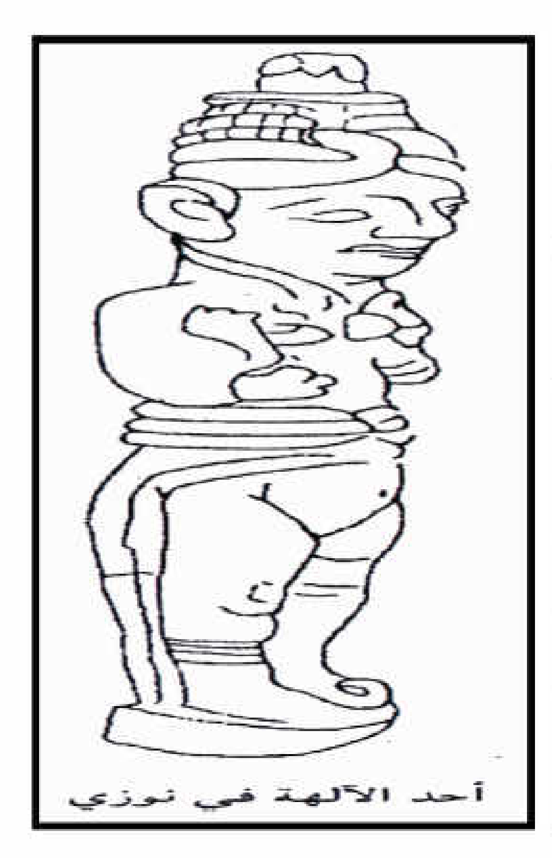
وسمح الكوتيون للسومريين الأحتفاظ بنظمهم و إدارتهم ومنحوهم إدارة ذاتية لشؤونهم، مقابل الأعتراف بالسيادة الكوتية، إذا تشير الكتابات السومرية الى وجود عدد من السلالات السومرية في جنوب العراق أثناء الحكم الكوتي ومن أهمها سلالة لگش الثانية التي إشتهرت بأميرها (گوديا)ونشاطاته الأقتصادية في مجال التجارة و العمران.

ضعف الحكم الكوتى في وسط العراق وإنسحبوا تحت ضغط السومريين العسكري بالتدريج بأتجاه الشمال واستقروا في مركزهم الرئيسي كركوك (أرابخا).

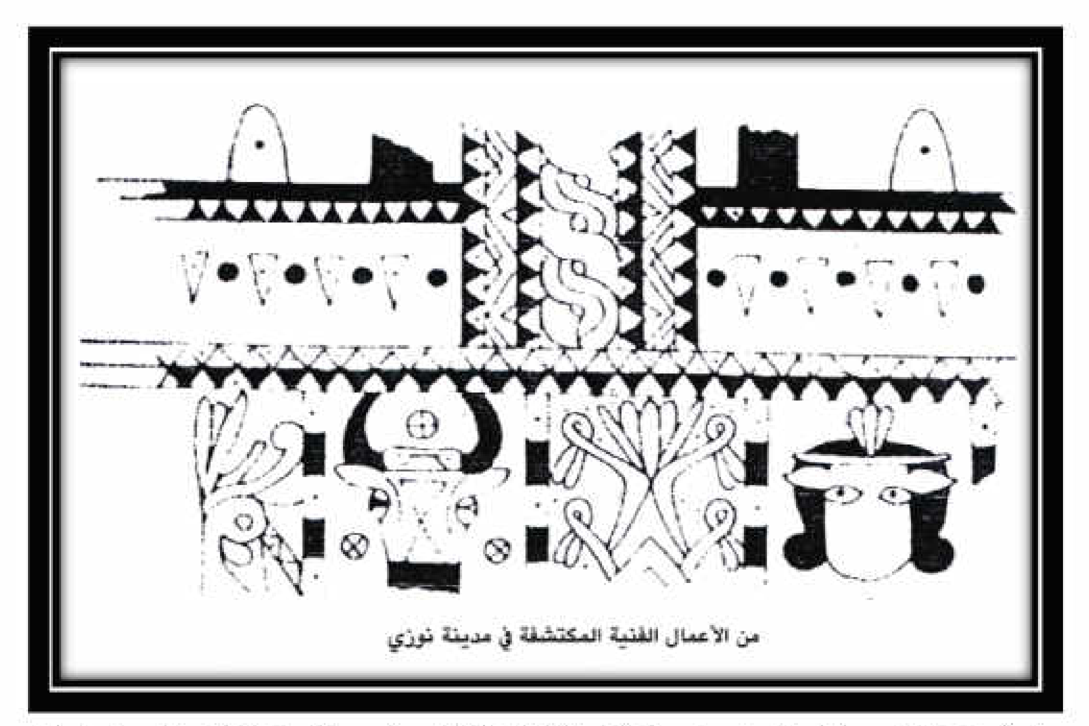
ثالثاً : الخوريون

برز دور الخوريين (الخوريين كما ورد إسمهم في التوراة) في كوردستان بصورة خاصة و الشرق الأدنى بصورة عامة، في الالف الثاني ق.م حيث إنتشروا في معظم مناطق الشرق الأدنى، لاسيما في غرب كوردستان. وأصبحت أرابخا ونوزي (كركوك) من أبرز مراكزهم ونجحوا في تأسيس عدد من الأمارات في نينوى وأورفة ورأس العين.

لعب الخوريون دوراً كبيراً في نقل المظاهر الحضارية بين مناطق الشرق الأدنى،فقد هيمنوا على التجارة وبرز دورهم الاقتصادي بوضوح،لأنهم لم يميلوا الى الحرب. وكانت مدينة نوزي (جنوب غرب كركوك الحالية) مركزاً مهماً للخوريين إذ عثر على قصر ملكي أثناء القيام بالتنقيب عن الأثار في الموقع، فضلاً عن بيوت السكن وطرق واسعةومظاهر حضارية عديدة.


أحد الآلهة في نوزي

عثر في نوزي على خارطة مرسومة على لوح طيني، تظهر عليها الجبال والانهار والمدن واسوارها والطرق الرئيسية، كما عثر على مئات من الالواح الطينية، دونت بالخط المسماري واللغة الاكدية، يظهر اثر اللغة الخورية واضحاً عليها. وتشير تلك الكتابات الى اهمية الزراعة لسكان نوزي، بدليل تطرقها الى ملكية الارض وعند دراسة الباحثين لكتابات نوزي عرفوا بانه كان في نوزي عدد من الاشخاص المتنفذين الذين كانوا يملكون مساحات واسعة من الاراضي الزراعية واستنتجوا بانه نشأ في نوزي نظام انتاجي سموه بالنظام الاقطاعي (Feudal system) وهو نظام انتاجي اكثر تطوراً من نمط الانتاج العبودي الذي كان سائداً في وسط وجنوب العراق.


من الأعمال الفنية المكتشفة في مدينة نوزي

تمتعت نوزي وارابخا بنوع من الاستقلال الذاتي في معظم فترات تاريخها اذ لم تخضع بشكل مباشر لسيطرة الاشوريين بل كانت تدفع لهم الجزية وكان نظام الحكم السائد في نوزي مشابهاً للنظام السائد في مدن العراق الاخرى حيث كان للملك دور كبير وهو بمثابة نائب الأله، يساعده في إدارة الدولة عدد من المقربين به، يشرفون على الشؤون المالية و الادارية و الاقتصادية. وإهتم ملوك نوزي بنشر العدالة، اذ يشير أحد النصوص الى حضور الملك إحدى المحاكمات.

رابعاً : الدولة الميتانية (١٥٠٠ – ١٢٧٥ ق . م) :

شهد الألف الثاني ق.م هجرة الاقوامالهندو ـ الاوربية الى منطقة الشرق الادنى وإنتشروا في كوردستان و إيران و آسيا الصغرى و إندمجوا مع سكانها وجلبوا معهم مظاهر حضارية ساعدتهم على إنتقال السيادة إليهم في مناطق عدة. ومن

أبرز تلك المظاهر الحضارية إستخدام الخيول و العربات ذات العجلات الدائرية و السيوف المقوسة. فنشأت كيانات سياسية جديدة من أبرزها الدولة الميتانية.

تأسست الدولة الميتانية في غرب كوردستان و عرفت عاصمتها باسم واشوكاني (يعتقد بانها كانت تقع بالقرب من مدينة رأس العين (سەروكانى) الحالية في غرب كوردستان ـ سوريا ـ)، وتوسعت حتى سيطرت على جميع سوريا، كما خضع الاشوريون لحكمهم لاكثر من مائة سنة وإمتد حكمهم شرقا ليشمل معظم كوردستان بما فيه أرابخا و نوزي.

العلاقات الدولية

ساعد الميتانيون و الكاشيون على تغيير العلاقات القائمة بين القوى السياسية في منطقة الشرق الادنى حيث حل التفاهم و السلام و التحالف محل الحرب و بدأت صفحة من العلاقات الدبلوماسية بين دول الشرق الادنى بعيدة عن العنف و الحرب.

أقام الميتانيون علاقات جديدة مع مصر و تحالف ملوكها مع فراعنة مصر و تبادلالجانبان الرسائل و الهدآيا (كتبت تلك الرسائل باللغة الاكدية و الخط المسماري و كتبت إحداها باللغة الخورية) و تزوج فرعون مصر آمنحوتب الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق . م).

من الاميرة الميتانيةتشواتا أو تيدوخيبا (نفرتيتي– سميت في مصر باسم (نفرتيتي) أي المرأة الجميلة) وبعد وفاته تزوجت من أمنحوتب الرابع – أخناتون (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق . م).

ومن يقرأ الرسائل التي أكتشفت في العمارنة عاصمة أخناتون فرعون مصر سيدرك مدى تطور العلاقات السياسية الدولية وما رافقها من تبادل الهدايا . و ضعفت الدولة الميتانية و تعرضت لهجمات الاشوريين و هجمات الملوك الحثيين (ملوك آسيا الصغرى) و إنتهى دورهم السياسي بعد حكم زاد عن مائتي سنة.

خامساً : الكاشيون

تعد لورستان الموطن الاصلي للكاشيين. برز دورهم في الالف الثاني ق.م اذ توغلوا في بلاد بابل بالتدريج واصبحوا عمالاً وكسبة وكانوا يقومون بالاعمال العامة ومنها حصاد الحبوب (قارن ذلك مع هجرة الكورد الى بغداد في الخمسينات والستينات في القرن الماضي) وزاد عددهم حتى اصبح لهم تاثير كبير على حياة سكان بلاد بابل ولاسيما في المجال الاقتصادي.رأوا حدوث فراغ سياسي في البلاد في أعقاب غزو الملك الحيثي مورسليس الاول لمدينة بابل سنة (١٥٩٦ ق . م) و قضائه على سلالة حمورابي الحاكمة، ملأ الكاشيون ذلك الفراغ واستولوا على الحكم و حكموا بلاد بابل اكثر من أربعة قرون (١٥٩٥ — ١١٦٢ ق. م).

تمتعت بلاد بابل في فترة الحكم الكاشي بالاستقرار حيث ساد السلم و الهدوء وإبتعدت البلاد عن الحروب و الغزوات وادخل الكاشيون عناصر حضارية جديدة الى البلاد، منها تربية الخيول وإستخدام العربات ذات العجلات الدائرية. كان للكاشين دور بارز في تغيير العلاقات بين القوى السياسية في المنطقة الشرق الادنى. أصبحت مصر محور العلاقات الدبلوماسية حيث تبادل الملوك الكاشيون الرسائل و الهدايا مع فراعنتها ومع ذلك كانت الثقافة البابلية المتمثلة بالخط المسماري و اللغة الاكدية لغة الدبلوماسية مما يدل على دور الكاشيين البارز في منطقة الشرق الادنى و تشير رسائل العمارنة الى تزوج أميرات كاشيات بأحرار مصريين، حيث زوج الملوك الميتانيون و الكاشيون اخواتهم و بناتهم من فراعنة مصر. وعندما ابرم الكاشييون معاهدة تنظيم الحدود مع الاشوريين واقاموا معهم علاقات حسن الجوار وتزوج ملوكهم من اميرات اشوريات.

بعد نجاح الكاشيين في توفير الاستقرار والسلام في بلاد بابل، قـاموا باعمـال عمرانية عديدة من ابرزها بناء مدينة جديدة لتكون عاصـمة لهـم سميـت ب(دور كوريكالزو) تيمنا باسم ملكهم (كوريكالزو الثـاني) الـذي بنـى المدينـة وتعـرف بقاياها اليوم باسم عقرقوف والتي تقع جنوب غرب بغداد بنحـو (٢٣كـم) حيـث اقاموا القصور والمعابد ورصفوا الطـرق بـالاجر وتميـز بنـاؤهم بالمتانـة اذ بلـغ سمك الجدران اكثر من قدمين، واستخدام اللبن الكبير في البناء. ومـن أهـم اثـار المدينة الباقية (زقـورة عقرقـوف) حيـث لاتـزال اجـزاء منهـا شـامخة. ولايـزال السكان المحليون بالقرب من عقرقوف يسمونها (حارة الاكراد).

أقام الكاشييون نظاماً زراعياً متطوراً وقام ملوكها بتوزيع الاراضي الزراعية على رؤساء القبائل الموالين لهم ووصفوا الحدود بين اراضي الافراد والجماعـات حيث عرفت كل جماعة ارضها، كما اهتموا بحفـر قنـوات الـري. تطـور اسـلوب الانتاج واستقرار السكان وارتباطهم بالسلطة الحاكمة ويفسر ذلك استمرار حكـم الكاشيين لفترة طويلة.

سادساً : دولة أورارتو

تاسست هذه الدولـة في منطقـة بحـيرة وان في القـرن التاسـع ق.م لـذا يسـميها بعض الباحثين بدولة وان، كما سميت بدولة اورارتو تيمناً بجبـال ارارات. نجـح الاورارتيون في اقامة تحالف ضم الاقـوام والامـارات السياسـية في كوردسـتان اذ تحالفوا مع امارة رواندوز (سميت في المصـادر الاشـورية باسـم مصاصـر) ومـع القبائل الميدية وسيطروا على الطرق التجارية. وبدأ الاورارتيون يهددون مصالح الدولة الاشورية، لذا أرسل الملوك الاشوريون عدة حملات عسكرية ضدهم ومـن أشهر ملوكهم منوا و سردور و روسا.

اشتهر الاورارتيون ببراعتهم في الاعمال العمرانية وتدل اثارهم في المناطق المحيطة ببحيرة وان على ذلك، حيث حفروا قنوات الري عبر شق الصخور. وبسبب مهارة الاورارتيين في البناء استعان بهم الملك الاشورى اشور ناصربال الثاني (٨٨٣ — ٨٥٩ ق.م) لدى قيامه باعمال عمرانية واسعة لتعمير عاصمته مدينة كلخو (النمرود).

سابعاً :الامبراطورية الميدية (٧٠٠ — ٥٥٠ ق.م)

إستقر الميديون في المناطق الواقعة الى الجنوب الغربي من بحيرة أورمية في القرن التاسع ق . م وإختاروا مدينة أكبتانا (مدينة همدان الحالية في إيران) عاصمة لهم. وقد وصف المؤرخ الاغريقي هيرودوتس المدينة بأنها في غاية التنظيم و الجمال كانت محاطة بعدة أسوار و في وسط تلك الاسوار بنى ملكهم ديوسيس (دياكو) قصره. إقتبس الميديون بعض المظاهر الحضارية من جيرانهم الاشوريين ولاسيما فنون الحرب و صناعة الاسلحة، فضلاً عن تنظيم الادارة و تطوير البريد. طور الميديون العربات الحربية ذات العجلات و صنعوا السيوف المقوسة و عملها أقواساً كبيرة ترمي السهام لمسافة طويلة، فضلا عن سرعة مروق السهم و كبر حجمه.

من أبرز ملوكهم دياكو الذي يعد مؤسس الدولة و باني العاصمة أكبتانا و فراورتيس (خاشاثريتا) و كيخسرو وأستياكس. نجح كيخسرو (كي أخسار) في بناء جيش منظم و أخضع قبائل الاسكيش لحكمه ثم أقام تحالفاً مع ملك بابل (نبوبولاسر) توجت بمصاهرة، حيث تزوج إبن ملك بابل و ولي عهده نبوخذنصر من الأميرة أميتس إبنة الملك كيخسرو.

وصلت الدولة الميدية الى ذروة قوتها و إستولى الميديون على المدن الاشورية آشور و كلخو و نينوى بين ٦١٤ — ٦١٢ ق . م ووصلت حدود

الامبراطورية الى اواسط اسيا الصغرى غربا والى مدينة تكريت جنوباً، وبذلك أصبحت القوة السياسية و العسكرية الاولى في منطقة الشرق الأدنى وهذا ما ساعدهم للهيمنة على الطرق التجارية وبدات السيادة تنتقل من سهول وادي الرافدين الى سكان جبال زاگروسو الهضبة الأيرانية ومن الجديد بالذكر أن الكورد إتخذوا تأسيس الدولة الميدية في حدود سنة ٧٠٠ق.م حدثاً هاماً أرّخوا بها التاريخ و أتخذوها بداية للسنة الكوردية فأذا أردنا معرفة السنة الكوردية فأننا نضيف (٧٠٠) سنة الى السنة الميلادية.

ثامناً : الكاردوخيون

أطلق المؤرخ اليوناني زينفون على سكان كوردستان تسمية (الكاردوخيين أو كاردوكي) في كتابه آناباسيس (نحو الشمال). وكان زينفون مع عشرة الاف من الجنود المرتزقة الأغريق مروا ببلاد الكورد سنة ٤٠١ ق.م ذكر زينفون في كتابه بان الجنود الأغريق إنسحبوا من بلاد بابل بأتجاه الشمال، بمحاذاة نهر دجلة، وأشار بأنهم مروا بقوم سماهم بالكاردوخيين وذكر بأنهم كانوا يعيشون في مناطق سهلية ويتمركزون عند سفوح الجبال ولهم قرى عامرة، حيث كانت بيوتهم مليئة بأنواع الحبوب و المواد الغذائية وجرار الخمر. وأضاف بأنهم دافعوا عن أموالهم و ممتلكاتهم ببسالة وبأنهم قتلوا عدداً من الجنود الأغريق. وذكر زينفون بأن الجنود الأغريق كانوا بحاجة الى سبعة أيام لأختراق مناطق الكاردوخيين العامرة.

ويبدو أن زينفون وجنوده إخترقوا جبال زاخو(بێخێر) وأن المناطق التي مرّوابها ولاقوا مقاومة على يد الكاردوخيين كان عبر سهل قضائيسێميل– زاخو.

اعزائي الطلبة ان ما يهمنا من حملة العشرة الاف التي قادها زينفون هو إشارته الى أن الكورد (الكاردوخيين) كانوا أناساً مستقرين في مناطق عامرة، تمتعوا بنوع من الرفاه الأقتصادي من ذلك العصر، فضلا عن مهارتهم القتالية، دفاعاً عن منجزاتهم وممتلكاتهم.

٣ - أبرز المظاهر الحضارية للكورد :

أعزائي الطلبة درستم سابقاً بان كوردستان هي مهد الحضارة، لان الانسان إهتدى في تلك البقعة الجغرافية الى الزراعة وما رافقه من إنقلاب غير حياته ودفعه الى التجمع والتكاتف وتكوين المجتمع وتنظيمه وتطوير الالات والادوات الانسانية وممارسة التبادل التجاري وظهور مباديء الدين، لاشباع حاجة الأنسان الفكرية.

وبسبب زيادة عدد السكان ونجاح الانسان في تطوير أساليب الانتاج، ثم الاهتداء الى الري، هاجر نحو المناطق السهلية الواسعة، فهاجر من كوردستان نحو وسط وجنوب العراق وأقام المراكز الحضارية الكبيرة (المدن) وصاحبها قيام أنظمة للحكم والاهتداء الى الكتابة.

ويعتقد عدد من الباحثين بان السومريين الذين بنوا حضارة ناضجة في جنوب العراق هم من سكان كوردستان القدماء وإنهم هاجروا الى الجنوب بشكل تدريجي بعد أن زاد عددهم. وإستغرق ذلك فترة زمنية طويلة وتؤيد الادلة الأثرية وإنتقال المراكز الحضارية من إقليم كوردستان العراق نحو اسط وجنوب العراق تلك الفكرة.

أصبح جنوب العراق مركزاً للجذب السكاني منذ أواخر الالف الخامس ق.م وتطورت القرى الى مدن واصبحت كل مدينة دولة قائمة بذاتها، سميت بـ(دويلات المدن السومرية) واطلق على العصر (عصر فجر السلالات السومرية). ثم ظهرت دولة مركزية في وسط وجنوب العراق ومنها الدولة الاكدية (٢٣٧١ – ٢٢٣٠ق. م) وانعكست الاية بالنسبة للعصور القديمة، حيث بدأت المظاهر الحضارية الجديدة من كتابة وقوانين ونظام الحكم تنتقل من جنوب ووسط العراق الى المناطق المجاورة ومنها الى كوردستان، إذ إقتبس سكان كوردستان الكثير من المظاهر الحضارية من السومريين والاكديين والبابليين والاشوريين. وتلك حال الحضارة الانسانية أخذ وعطاء، تأثير وتأثر.

أضاف سكان كوردستان الى تلك المظاهر الحضارية الكثير من إبداعاتهم سيما وأن ارضهم مليئة بالمواد الاولية الضرورية للبناء الحضاري من حجارة وأنشاب ومعادن وكانت بيئة وسط وجنوب العراق تفتقر الى تلك المواد وأصبحت كوردستان مصدراً لسكان وسط وجنوب العراق للحصول على المواد الاولية الضرورية للبناء الحضاري وحصلوا على تلك المواد عن طريق التجارة او الغزو.

وبسبب تشابه المظاهر الحضارية لدى سكان كوردستان مع سكان وادي الرافدين والمناطق المجاورة،وسيتم التطرق الى تلك المظاهر الحضارية التي سادت العديد من مناطق الشرق الادنى، عبر دراسة المظاهر الحضارية لسكان وادي الرافدين. وسيتم التطرق الى الديانة الزرادشتية بايجاز لانها إنتشرت في كوردستان وإيران ولم تنتشر بشكل واسع بين سكان وادي الرافدين والمناطق الاخرى إلاّ قليلاً.

الديانة الزرادشتية :

كانت الشعوب الهندو- اوربيةتعبد مظاهر القوى الطبيعية التي لها تأثير على حياتهم مثل الشمس والارض والهواء شأنهم في ذلك شأن سكان وادي الرافدين ومن آلهتم تيشوب وهو يقابل الاله انليل في وادي الرافدين وشاوشكا (عشتار البابلية) وإله الشمس (ميثرا) وأصبح للاله ميثرا دوراً بارزاً بين الهندو- اوروبيين بمرور الزمن.

وفي نهاية القرن السابع ق. م ظهر شخص في بلاد ميديا يدعى زرادشت الذي دعا الناس الى عبادة إله واحد هو الاله (أهورامزدا) إله النور والخير. لم يؤمن سكان ميديا بدعوته في بداية الامر فهاجر نحو شرق إيران ونشر دعوته في مدينة بلخ والمناطق المجاورة لها. وبعد قيام الدولة الاخمينية في إيران إتخذ الملك دارا الاول (٥٢٢ – ٤٨٦ ق. م) الزرادشتية ديناً رسمياً للدولة فانتشرت الديانة الجديدة بين سكان كوردستان وإيران و مناطق أخرى.

تدعو الزرادشتية الى الأعمال الصالحة وتنبذ الشر، وصفت قوى الشر بـ(أهريمن) الذي يعد مصدراً لكل الشرور وله إتباعه من البشر. وذكر زرادشتت بأن إله الخير (أهورامزدا) وأتباعه سينتصرون على قوى الشر المتمثلة بـ(أهريمن)، وكانت الزرادشتية دين توحيد قبل ان يطالها الانحراف دونت تعاليم زرادشت في كتاب سمي ب(الآفيستا)ووضعت لها تفاسير وقام الكهنة الزرادشتيون بتلاوة الأدعية و الصلوات في معابدهم وكانوا يوقدون فيها النيران التي تبقى مشتعلة بأستمرار لأن النار هو أحد العناصر المقدسة في ديانتهمأصبحت الديانة الزرادشتية دين الطبقة الحاكمة في إيران ولم يصبح ديناً شعبياً مثل الديانة البوذية، لذا قل أتباع تلك الديانة بعد إنتشار الأسلام

وأعتنق معظم اتباع الدين الزرادشتي مباديء الدين الأسلامي السمحاء. ولايزال بعض الزرادشتيين يحتفظون بدينهم في إيران ويتمركزون في مدينة (يزد) وفي الهند وهم على درجة عالية من التهذيب و النظافة. ومن الجدير بالذكر أن ديانتهم تعد من الديانات المغلقة.

مراجع الفصل الأول:

أ- باللغة الكوردية:

١- محمد أمين زكي، خلاصەيەكى تاريخى كوردو كوردستان،(بەغدا: ١٩٣١)

٢- جمال رشيد أحمد، لێ كۆڵینەوەیەكی زمانەوانی دەربارەی مێژووی وڵاتی كوردەواری،دار الحرية، (بغداد: ١٩٨٨).

ب- باللغة العربية:

١- جمال رشيد أحمد، دراسات كوردية في بلاد سوبارتو، (بغداد: ١٩٤٨)

٢- جورج رو، العراق القديم،ترجمة حسين علوان، (بغداد: ١٩٨٠)

٣- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٣، (بغداد: ١٩٧٣)

٤- نخبة من الباحثين، حضارة العراق، (بغداد: ١٩٨٥)

الأسئلة:

س١/ لماذا سبق سكان كوردستان الاخرين في الاهتداء الى الزراعة؟

س٢/ بين الاهمية الحضارية لـ(تل حلف)؟

س٣/ ماهي المظاهر الحضارية التي أدخلها الميتانيون الى منطقة الشرق الادنى؟

س٤/ من هم الكاردوخيون؟ كيف كانت علاقتهم بالاغريق؟ أذكر معالم حضارتهم.

الفصل الثاني

حضارة وادي الرافدين(ميسو پوتاميا)

مقدمة : ساهمت المجموعات البشرية التي استقرت في وادي الرافدين في بناء الحضارة في هذه البقعة الجغرافية الهامة. ومن المعلوم ان وادي الرافدين كانت منطقة مفتوحة امام الهجرات البشرية، فدخلت أراضيه موجات بشرية متوالية من الغرب والجنوب الغربي (اقوام شبه جزيرة العرب – الاقوام السامية)، مخترقة وادي نهر الفرات. وفي الوقت نفسه دخلت موجات بشرية اخرى من جهة الشرق، مخترقة وادي نهر دجلة (الاقوام الهندو- أوربية). واختلطت تلك المجموعات البشرية مع سكان البلاد الاصليين من سومريين ولولوبيين وگوتيين وخوريين. ونجم عن ذلك الاختلاط. تبادل الخبرات والافكار والاراء، مما ساعد على إعطاء حضارة وادي الرافدين طابعاً شمولياً عاماً تأثر به معظم سكان وادي الرافدين كما أثروا فيه.

وعلى الرغم من أن السومريين يعدون مبدعين ومخترعين لاسس الحضارة الراقية في مجال البناء و الزراعة والري إختراعالكتابة واقامة نظام سياسي وأن سكان وادي الرافدين اقتسبوا تلك الحضارة، فانهم من جانبهم ساعدوا على الرقي لكل المظاهر الحضارية وأضافوا إليها من خبراتهم وطوروها بالشكل الذي يلائمهم، مع الاحتفاظ بالاسس التي وضعها السومريون، لذا يمكن القول بان حضارة وادي الرافدين إتخذت طابعاً أممياً إنسانياً، لم يقتصر تأثيرها على سكان وادي الرافدين فحسب، بل شمل معظم سكان منطقة الشرق الادنى فأصبحت رافداً من روافد الحضارة العالمية. وسيتضح ذلك عند دراسة مظاهر حضارة وادي الرافدين.

أبرز المظاهر الحضارية

أولاً : نظام الحكم :

أ- نشوء أنظمة الحكم : يقصد بنظام الحكم اسلوب إدارة المدينة أو الدولة التي تضم عدة مدن وما يتبعها من قرى وأرياف و نوعية السلطة التي تتولى تلك الأدارة .ليس من السهل معرفة ظهور أولى أنظمة الحكم في مدن العراق الجنوبية وان ما ذكره الباحثون بهذا الشأن يدخل في عداد التخمين والأفتراض. تتحدث الأساطير و الملاحم السومرية و جداول الملوك عن الحكام و السلالات التي حكمت في الأزمنة الغابرة، مما يرجح قيام نوع من نظام الحكم قبل إكتشاف الكتابة وبدأ العصور التاريخية بمئات السنين. ويدل تطوير النظام السياسي لدى السومريين في بداية العصور التاريخية على أن ذلك النظام له جذور موغلة في القدم الى أن وصلت لتلك المرحلة ويبدو أنه كان للبيئة الطبيعية القاسية في جنوب العراق و المتمثلة بشحة الأمطار و أرتفاع درجات الحرارة صيفاً و الفيضانات المفاجئة أثر كبير في دفع السكان الى التعاون و التكاتف، مواجهة تحدي البيئة، فعملوا معاً من أجل اقامة السدود لدرء خطر الفيضانات و حفر القنوات لتوفير المياه لحقول الزراعة و لحماية قراهم المكشوفة في هجمات السكان غير المستقرين.

أعزائي الطلبة: تطلب العمل الجماعي مثل بناء السدود وحفر قنوات الري و الدفاع عن المناطق السكنية، قيادة تتولى تنظيم تلك الأعمال، فبرز بعض الأشخاص ذوي القابلية الأدارية وتولوا تنظيم تلك الأعمال وكانت ثقة الناس برجال الدين (الكهنة) كبيرة،لأنهم حسب إعتقادهم على علم بما سيجري من أحداث في الطبيعة مثل حدوث الفيضان أو الغزو، نظراً لقيامهم بخدمة الألهة

واتصالهم الوثيق بها، كونهم يعيشون في المعابد و قربهم من التماثيل التي تجسد الألهة. وحسب اعتقادهم كان اختيار الكهنة سيرضي الألهة، لذا اختاروا الكهنة ليقوموا بأدارة شؤونهم الدنيوية، فضلا عن قيامهم بالواجبات الدينية. وأطلقوا على الكاهن الذي تولى قيادتهم إسم (إين EN)، في اللغة السومرية بمعنى السيد أو الحاكم.

ازدادت مسؤوليات الكاهن EN بسبب تطور الحياة و زيادة عدد السكان و تنوعت مهامه الدنيوية و الدينية ولم يعد قادراً على أداء جميع المهام المناطة به بأتقان، لذا كان عليه أن يختار من يعاونه في أداء مهامة الواسطة، فتنازل عن واجباته الدينية لكاهن آخر وأنتقل هو الى خارج العبد، ليسكن قصراً، إستقر فيه مع حاشيته من كتبة و طباخين و سقاة وحرفيين ومغنين و موسيقيين. وأطلق على الحاكم الجديد في اللغة السومرية لقب إنسيENSI الذي كان يحكم مدينة واحدة. ونظراً للتطورات السياسية، توسعت سلطة الحاكم السومري وشمل أكثر من مدينة وأطلق على الحاكم الذي يحكم عدة مدن لقب لوكال في اللغة السومرية (LUGAL) و معناها الرجل العظيم (LU= رجل،GAL= عظيم) أي الملك. بهذه الطريقة ظهر نظام الحكم الملكي في بلاد وادي الرافدين. ويقابل كلمة ملك LUGAL السومرية في الغة الأكدية كلمة شرو SHURRU.

ب- الديمقراطية البدائية : Primitive Democracy :

يعتقد إن اولى أنظمة الحكم السياسية السائدة في المدن السومرية إتسم بنوع من الديمقراطية، الا إنها كانت ديمقراطية بدائية،حيث كانت السلطة العليا في المدينة بيد مجلس عام، ضم جميع المواطنين البالغين.ومن المحتمل أنه ضم

النساء أيضاً. وكان ذلك المجلس يجتمع لمواجهة الحالات الطارئة التي تنذر بالخطر ويحق للجميع التكلم داخل المجلس، غير آن رأي الرجال المسنين (الشيوخ) كان أكثر وزناً من كلام الاخرين.

وألف المسنون مايشبه مجلس الشيوخ داخل المجلس العام كان النقاش يستمر داخل المجلس حتى يتم التوصل الى القرار بالاجماع،ثم يعلن القرار من قبل مشرعي القانون.

فكان المجلس يختار حاكم المدينة (EN) ويمنحه صلاحيات محددة، لأن القرارات الهامة مثل إعلان الحرب او قبول الصلح أو عقد معاهدة كان من إختصاص المجلس العام.

وبدأت الديمقراطية البدائية بالزوال، بسبب كثرة الحروب بين دول المدن السومرية اذ كان المجلس يمنح حاكم المدينة صلاحيات واسعة، لمواجهة الاعداء، وراق للملك الاحتفاظ بتلك الصلاحيات حتى بعدزوال لخطر وحل نظام الحكم الوراثي المطلق محل الديمقراطية البدائية بالتدريج. ومع ذلك بقيت مجالس المدن قائمة في العراق لفترة طويلة ولكن الملوك ألغوا صلاحياتها وروجوا بين الناس بأنهم جاءوا الى الحكم عن طريق اختيار الالهة لهم وبأنهم ممثلوا الالهة لحكم البشر.

جـ- نظام دولة المدينة : اسس السومريون مراكز حضارية عديدة في جنوب العراق التي سرعات ما نمت وإزدهرت ودخلت في منافسة إقتصادية وسياسية سرعان ما تحولت الى صراع نجم عنها حروب عدة، أدت الى خروج السلطة السياسية من إيدي السومرين وإنتقالها الى الساميين (الاكديين) في النصف الثاني من الالف الثالث ق. م.

ومن أهم تلك المراكز (المدن):أور،أريدو، الوركاء،لگش،أوما، نفر، كيش.وكانت لكل مدينة الهها الخاص وسورها الحامي وحاكمها،وتألفت المدينة من:

١- **مركز المدينة :** وفيه المعبد الرئيسي وقصر الحاكم. وكان المعبد محور المدينة ومركز النشاط الاقتصادي، فضلا عن كونه مركزاً دينياً مقدساً، تقام حولها البيوت وترتبطها الطرق بأحياء المدينة وأزقتها. مثل معبد الاله إنليل في مدينة نفر.

٢- **ضواحي المدينة :** وتضم القرى التابعة للمدينة وتشمل المزارع والمراعي وهي المصدر الرئيسي لغذاء سكان المدينة.

٣- **ميناء المدينة :** وهو مركز تجاري، يقيم فيه التجار. ويتمتع الميناء بنوع من الاستقلال الاداري، لممارسة التجارة نقل البضائع من وإلى المدينة.

د- **النظام الملكي :** أشارت الأساطير السومرية بان الملكية كانت في السماء وبان شارات الملك: التاج والصولجان وعصا الرعية وضعت أمام الأله(آنو) في السماء وبان أول من تقلد منصب الملك في السماء هو الأله إنليل. وعندما خلقت الألهة البشر حسب إعتقاد السومريين، وهبت الالهة البشر منصب الملك، ليتمكنوا من ادارة شؤونهم والقيام بخدمة الالهة. فوظيفة الملك حسب الاعتقاد السومري وظيفة إلهية وحاملها (الملك) هو من البشر، إختير من قبل الالهة، لينوب عنها في حكم البشر أي أن الملك هو نائب الالة و إطاعته واجبة.

حاول بعض ملوك العراق القدامى أن يصبحوا آلهة الا أن تلك المحاولات كانت محدودة ولم تلق النجاح. ومنهم الملك سرجون الاكدي وحفيده نرام سين، وملك سلالة أور الثالثة (شولكي). فإذا كانت فكرة ألوهية الملك قد نجحت في وادي

النيل وبات الملك المصري في نظر المصريين إلهاً، فاءن تلك الفكرة لم تحظ بالقبول لدى سكان وادي الرافدين.

هـ- ألقاب الملك: تفاوت الألقاب الملكية تبعاً لقوة الملك و توسع سلطته، فظهر في العهد السومري لقب ملك البلاد و ملك سومر وملك كيش. ولقب سرجون الأكدي نفسه بملك الجهات الأربع وبدل اللقب على توسع سلطته وكان ذلك اللقب خاصاً بالاله وحاول سرجون تألية نفسه. وأتخذ ملوك سلالة اور الثالثة لقب ملك بلاد سومر وأكد ثم ظهر لقب ملك بلاد بابل و بلاد أشور، فضلا عن الألقاب الفخمة الآخرى مثل لقب (ملك كل الملوك) او (ملك العالم) او (لقب الراعي المخلص، المحب للحق والعدالة).

و- الملك البديل: نظراً لأهمية مركز الملك والمهام الدنيوية والدينية المكلف بأدائها، فهو الكاهن الاعلى المسؤول الاداري الاول و رئيس القضاة والقائد العام للجيش، لذا فان أي خطر يهدد حياته ومركزه كان سيؤدي الى حدوث الفوضى وتهديد سلامة البلاد والسكان. لذا كان من الضروري المحافظة على سلامة الملك وكانت بعض الحوادث مصدر شؤم على الملك حسب إعتقاد الناس آنذاك ومنها حدوث الكسوف والخسوف. وإذا ما تنبأ الكهنة بان ثمة خطر يهدد حياة الملك، كان عليه الاختفاء وعدم الظهور امام الناس، لفترة تتراوح بين شهر وثلاثة أشهر، ويتم تعيين بديل عنه، ملكاً رسمياً ويمنح الصلاحيات ويسكن القصر الملكي. وبعد زوال الخطر و إنقضاء فترة حكم الملك البديل، يتم قتل الملك البديل، لياخذ معه كل الشرور المحتملة التي تهدد الملك الحقيقي ويرجع الملك الحقيقي الى عرشه.

فسر بعض الباحثين بان ظاهرة الملك البديل كان اسلوباً ذكياً إتبعه بعض الملوك،للتخلص من معارضيهم، بالاتفاق مع الكهنة.

ز- الادارة: لم يكن باستطاعة الملك، القيام بجميع الاعمال، لذا كان لابد له أن يستعين بعدد من الامراء المقربين له لمعاونته في إدارة شؤون الدولة، لاسيما بعد توسع الدولة سيطرتها على الاقاليم المجاورة لوادي الرافدين. وعلى العموماتبع ملوك العراق القدماء في بلاد بابل وآشور اسلوب الادارة المركزية، فكان الملك يقسم البلاد الى مقاطعات، يعين على كل مقاطعة حاكماً مرتبطاً به ويتلقى الاوامر منه بشكل مباشر.

لجأ ملوك سلالة أور الثالثة الى أسلوب نقل حكام المدن والمقاطعات بين وقت وآخر، الى أماكن أخرى، كي لا تزداد روابطهم المحلية مع السكان ويحلصوا على تأييدهم، خوفاً من إنفصال الأقليم ،وكان على الحاكم أن يخبر الملك عما يجري في مقاطعة من أحداث مثل حدوث الفيضانات وإنتشار الاوبئة او ظهور تهديد خارجي. وفي عهد الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م) أزدادت مركزية الدولة وأصبح القصر الملكي محوراً للاعمال السياسية والادارية والمالية وفصل حمورابي بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية تماماً. وكان قصر الملك يعج بالموظفين والاداريين، مقابل تناقص دور المعبد حيث إبتعد الكهنة عن الامور الدنيوية. ولقب حاكم المدينة بـ رابيانم rabianum بمعنى المحافظ او رئيس البلدية. وكان الملك يرسل مبعوثيه الى الاقاليم والمدن التابعة ليتأكد من مدى قيام الحكام والموظفين الاداريين بواجباتهم او لاستدعائهم الى بابل من أجل المشاورة واخذ التعليمات من الملك.

وهذا نموذج من وسائل الملك حمورابي الى حكام المقاطعات:

((قل لسين أدينـام أن حمـورابي يقـول: حالمـا تلمـح لـوحتي (رسـالتي) هـذه توجه الى بابل وأمثل بين يدي ولا يجوز أن تتأخر إحضر بسرعة)).

تطورت الأدارة في العصر الكاشي، حيث قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة. وكان حاكم المقاطعة مسؤولاً عن جمع الضرائب وتطبيق القانون وحفظ الأمن.

ووصل الادارة الى قمة التطور فى عهدالاشوريين فى التنظيم وظهر عدد كبير من الموظفين الاشورية الواسعة، حتى أصـبحت الوظـائف وراثيـة في بعـض الاسـر. وكان على حاكم المقاطعـة أن يبعـث تقريـره الـدوري الى الملـك مباشـرة وطـور الاشوريون النظـام البريدي،فسـاعد ذلـك الملـك علـى إيصـال اوامـره الى مكـان المقاطعات بسرعة، فضلاً عن قيام مبعوثي الملك بجولات تفتيشية.

تركت إدارة المعابد للكهنة، ومع ذلك تولى الملـوك أمـر بنـاء المعابـد وترميمهـا ورعاية الاحتفالات الدينية فيها لأنه يعد الكاهن الاعلى.

ثانياً : المعتقدات الدينية :

مارس الانسان نوع من العبادة في العصر الحجري القـديم، اذا قـام برسـم صـور الحيوانات التي كانت يصـطادها علـى جـدران الكهـوف وهـو يوجـه لهـا سـهاماً أصابتها في موقع قاتل من أجسامها. ويبدو أنه كان يعتقد بأن ذلك سيسـاعده على صيد تلك الحيوانات وتوفير الغذاء له.

وبعـد أن إهتـدى الأنسـان الى الزراعـة وتـدجين الحيوانـات في العصـر الحجـري الحديث،واصبحالطعام متوفراً لديه، ففكر في أمر الخصوبة والتكاثر. وإعتقد بان زيادة عدد السكان والحيوانات و إنتـاج الحبـوب مـرتبط بقـوى خفيـة وجسـدها على شكل إلهة الأنثى، بـالغ في تضـخيم أعضـائها التناسـلية وصـنع دمـى مـن

الطين لتمثلها وتعرف تلك الآله من لدن الباحثين بتماثيل الآلهه الأم رمز التكاثر.

وأصبح التكاثر شيئاً مألوفاً لدى الانسان، بسبب زيادة عدد السكان وتطوير الانتاج الزراعي ووسائله، لا سيما بعد الاهتداء الى الري، لذا إتجه تفكير الانسان الى القوى الطبيعية التي لها تأثيرعلى حياته مثل الارض والهواء والشمس والقمر والنجوم. ورأى بان حياته تتأثر بالارض ومافيه من تضاريس وكذلك الماء والهواء وحدوث الفيضانات وإنتشار الأمراض واعتقد بأنه هناك قوى كامنة تحرك الطبيعة مثل حركة الشمس والقمر والنجوم الظاهرية وحدوث العواصف ودرجة خصوبة التربة. وجسدوا تلك القوى بهيئة تماثيل قام بتقديسها ووضعها في مباني خاصة بها هي المعابد وقاموا على خدمتها وتقديم الأضحيات والهدايا لها بأعتبارها آلهة.

وأعتقدوا بأن أحد الآلهة يسيطر على السماء وآخر على الأرض و ثالث على الهواء وسقوط الأمطار و الرابع على المياه العذبة و هكذا حيث خصص سكان وادي الرافدين للعديد من الأشياء و الأعمال الهاً فهناك إله الحراثة وإله الكتابة وإله الحب وإله الحرب و آلهة العالم السفلى، فضلا عن وجود إله حامي لكل مدينة ولكل قوم إله خاص بهم.ويمكن إيجاز خصائص المعتقدات الدينية عند سكان وادي الرافدين بمايلي:

أ- مبدأ الشرك: كان وادي الرافدين بعيدين عن مبدأ التوحيد وظنوا أن هناك آلهة متعددة تتحكم فيهم وتسير الكون. ولم تكن جميع الألهة على درجة واحدة من الأهمية، إذ كان دور بعض الألهة ثانوياً حسب إعتقادهم لذا كان لها مزارات

صغيرة في إحدى زوايا المدن في حين عبدوا الهة اخرى وأعطوها أهمية كبيرة مثل إله الشمس.

ب- مبدأ التشبيه : ويقصد به تشبيه الالهة بالبشر وتنسيب معظم صفات البشر الروحية والمادية إليها مثل الشكل وأعضاء الجسم والتفكير والعواطف والحواس. فالالهة في نظرهم تأكل وتشرب وتكره وتحب وتتزوج وتفرح وتحزن ولهم علاقاتهم الاجتماعية، فهم يجتمعون ويقررون وقد يختلفون في الرأي.

ويراس المجمع الالهي حسب اعتقاد العراقيين القدماء – إله السماء آنو.

وتتميز الالهة عن البشر بصفة الخلود فهي لاتموت،بعكس البشر الذي قدر له الموت. وورد ذلك في ملحمة گلگامش بوضوح على لسان صاحبة الحانة حينما خاطبت ملك الوركاء گلگامش قائلة:

إلى أين تسعى يا گلگامش؟

إن الحياة التي تبغيها لن تجدها

لان الآلهة لما خلقت البشر

قدرت له الموت

واستأثرت هي بالحياة

ولتميز تماثيل الالهة عن البشر، بالغ النحاتون بتضخيم حجم العينين والاذنين في تماثيل الالهة، دلالةعلى الحكمة وبعد النظر، كما وضعت على رؤوسها التيجان المقرّنة. وعلى العموم صورت الالهة على المنحوتات بحجم أكبر من تماثيل الملوك والحكام.

٣- الخلود : حافظ سكان وادي الرافدين على معتقداتهم عبر العصور التاريخية. فعلى الرغم من دخول اقوام مختلفة الى وادي الرافدين، ظلت عبادة الالهة التي

عبدت منذ العصر السومري مستمرة دون حدوث تغيير جوهري وحتى المعابد حافظت على تخطيطها ومرافقها الرئيسية كما بقيت معظم الطقوس والشعائر الدينية على حالها.

أبرز الآلهة

المجموعة الاولى : وتشمل الثالوث الالهي الذي يجسد الطبيعة وهم:

١- آنو: وهو إله السماء (سيد السماء) ورمزه الرقم (٦٠) وهو الوحدة الكاملة حسب النظام الستيني الحسابي لدى السومريين. ويعد آنو ابو الالهة جميعها وكان مقر عبادته في مدينة الوركاء.

٢- إنليل: وهو اله الجو (سيد الهواء). لعب دوراً بارزاً في الأساطير و الطقوس الدينية وهواله السلطة أيضاً، لذا نافس أحياناً الاله آنو رقمه كان (٥٠) وكان مقر عبادته في مدينة نفر.

٣- إنكي: وهو اله الأرضي (سيد الأرض) ورقمه (٤٠) و مقر عبادته مدينة أريدو ،وسماه البابليون أيا وعده الهاً للحكمة. وكان حسب إعتقاد الناس محباً للخير و صديقاً للبشر.

المجموعة الثانية :

١- ننار: هو إله القمر و مقر عبادته مدينة أور ،كما عبد في مدن كوردستان مثل حرّان وسمي لدى الأكديين بالأله سين.

٢- أوتو: هو اله الشمس السومري و سمي لدى الأكديين بالأله (شمس) عبد في مدينتي سپارو لارسا وعده الهاً للحق و العدل، لذا عد مصدراً للقوانين و صور في أعلى مسلة حمورابي.

٣- إنانا : وهي إلهة الجمال و الحرب و السلطة لدى السومريين. عبدت في مدينة الوركاء و سميت لدى البابليين عشتار و تمثلها نجمة الصباح (الزهرة).

الآلهة القومية : برز دور بعض الالهة و توسعت عبادتها، تبعاً لتوسع سلطة المدينة أو الأقوام التي عبدت تلك الالهة. وإتخذت تلك الالهة تلك طابعاً قومياً عندما حاول الملوك الذين قدسوا تلك الالهة، نشر عبادتها في المناطق الخاضعة لنفوذهم ومن هذه الالهة.

١- مردوخ : هو اله مدينة بابل و رمز سلطتها و أصبح من أهم الالهة في عهد حمورابي و الدولة البابلية. وسمي معبده في مدينة بابل بأسم إيساكلا و لعب دور البطل في قصة الخليقة البابلية و إقترن بالالهة صربانيتم.

٢- آشور: هو اله الآشوريين و رمز سلطتهم وأصبح دوره بارزاً بسبب توسع الدولة الآشورية و أقترن بالالهة أنليل لأن الاله أنليل اله السلطة لدى السومريين عبد في مدينة آشور و كلخو و خرسباد و نينوى.

٣- الاله خالتي (خالدي): هو إله دولة اورارتو و اله الخالتيين (الخالديين) الذين استقروا في منطقة رواندوز. قام الملك الأشوري سرجون الثاني سنة ٧١٤ق.م بالهجوم على الخالتيين و نهب معبد الاله خالتي و نقل تمثاله الى بلاد آشور.

بناء المعابد : بنيت المعابد في دور حلف الحضاري في حدود (٤٥٠٠–٤٠٠٠ ق.م)، حيث كشف عن أقدم معبد في تيه گورا– شرق نينوى– أصبح المعبد فضلا عن كونه مركزاً للعبادة وأداء الطقوس الدينية، مركزاً للنشاط السياسي و الثقافي و الأداري، حيث كان يقيم في أحد أجنحته الكاهن الحاكم (EN)، كما أصبح المعبد مركزاً لتعليم القراءة و الكتابة و مقراً للقضاء كان المعبد يملك

معظم الأراضي الزراعية بأسم الاله و يقوم بأستغلاله عن طريق تأجيره و زراعته وجمع وارداته كما كان للمعبد قطعان من الماشية و يمارس التجارة أيضاً. و تخصص بعض الكهنة للقيام بمهام إدارية و إقتصادية.

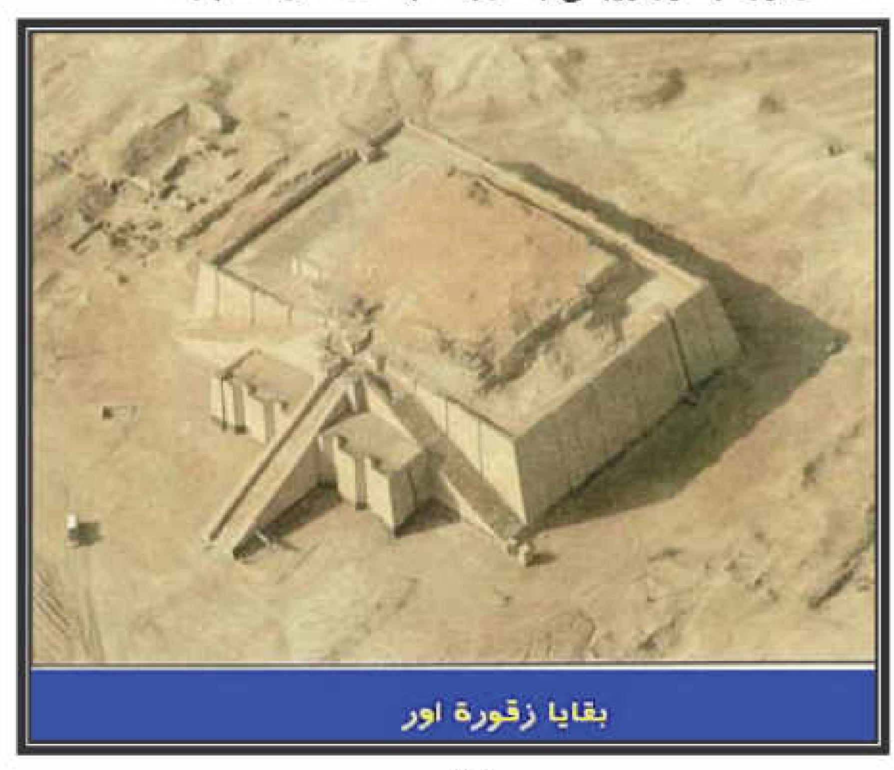
كان عملية بناء المعابد مهمة مقدسة، لذا أحرص سكان وأدي الرافدين ولاسيما الملوك و الحكام على بنائها وخدمتها. وعادة كان يتم بناء المعبد في مكان مرتفع أو على مصطبة مرتفعة عن الأرض، لتظهر فخامتها و هيبتها، بما يتناسب ومركز الالهة. وزينت جدرانها بالطلعات و الدخلات و أستخدمت الفسيفساء في تزيينها، لاسيما اللون الأبيض، ليكون لونها ساطعاً في الليل.كان المعبد في البداية يتكون من حجرة صغيرة تشيد باللبن وفيها تجويف يعرف بالهيكل خصص لوضع تمثال الاله فيه ويحيط به أرض فسيحة. إتسع بناء المعابد نتيجة لتطور الحياة المدينة وإتساعها وقيام المعبد بدور رئيسي في حياة السكان. ومع ذلك حافظ المعبد على تخطيطه الأول عبر العصور فظلت زوايا المعبد تتجه نحو الأتجاهات الأربعة و الحقت بها مرافق كثيرة، خصصت للتعبد و الأدارة. ويضم المعبد عادة حجرة المدخل التي تؤدي الى ساحة مكشوفة، ينفذ منها الى حجرة أخرى، تفصل بين الساحة و غرفة الهيكل. وكانت حجرة الهيكل أقدس جزء في المعبد، يوجد فيها التجويف الخاص لوضع تمثال الآله و أمام التجويف دكة لذبح الأضحيات.

الزقورة: تعني كلمة الزقورة في اللغة الأكدية:((يبني عالياً)). وهي عبارة عن صرح (برج) شاهق الأرتفاع، مؤلف من ثلاث الى سبع طبقات، تتناقص قطرها نحو الأعلى. وتكون قاعدتها مربعة أو مستطيلة. وتعد الزقورة أهم قسم في مجمع معابد المدينة تشيد مصاطب الزقورة من اللبن المجفف بالشمس وتغلف من الخارج بالأجر المخفور (الطابوق) ويكتب عليها عادة أسم الملك الذي قام

ببناء الزقورة أو أمر بترميمها. وكان حجم الزقورة يختلف من مدينة الى أخرى تبعاً لأهمية المدينة و المعبد الذي تعود له الزقورة.

وتعد زقورة مدينة اور التي شيدها الملك اورنمو الزقورة التي شيدها الملك نبوخذنصر الثاني في مدينة بابل من أشهر الزقورات التي بنيت في وادي الرافدين، حيث أشار المؤرخ اليوناني هيرودوتس الى زقورة بابل و التي سماها ببرج بابل، فذكر بأنها كانت تتكون من سبع طبقات و الطابق السابع كان عبارة عن غرفة صغيرة خصصت لأستراحة الأله على قول هيرودوتس.

لاتزال بقايا زقورة اور شاخصة و التي يبلغ مساحة قاعدتها نحو ٢٧٠٠م٢ وقدر الآثاريون إرتفاعها بنحو١٣م وكانت تتكون في ثلاث طبقات. إتسمت زقورة اور بالجمال والرشاقة و المتانة، إذ نجح المشرفون على بنائها في إيجاد تناسب بين أبعاد و قياسات طوابقها. وكان يرقى الى الزقورة بسلالم خارجية في الجوانب. وعادة تحاط الزقورة بسور ويبنى بالقرب منها عدد من الحجرات.



بقايا زقورة اور

بنى السومريون زقورات أخرى في مدن الوركاء و أريدو ونفر. وبنى الكاشيون زقورة عقرقوف و لاتزل بقاياها شاخصة و يعتقد بأنها كانت تتألف مع سبع طبقات وبنى الملك الأشوري سرجون الثاني زقورة في مدينة خرسباد.



الكهنة :هم القائمون على خدمة الآلهة و رعاية معابدها و العناية بتماثيلها واداء الطقوس الدينية.

عزيزي الطالب اشير سابقاً الى ان السلطة الدينية و الدنيوية كانت بيد الكاهن في بلاد سومر ثم انفصلت السلطتان و تخصيص الكهنة بالأمور الدينية.

وكان الكهنة على مايبدو يعرفون القراءة و الكتابة، لذا كان منهم المعلمين و القضاة و الكتبة.

تمتع الكهنة بمركز ديني و إجتماعي و إقتصادي مرموق. و بسبب كثرة الطقوس الدينية، ظهر نوع من التخصص في المهنة الكهنوتية، فأختص أحد

الكهنـة بالأشـراف علـى ذبـح الأضـحيات وأخـر بعـلاج المرضـى وأخـر بغنـاء الأناشيد.ومن أبرز اصنافهم:

أ- أشيبو: وهو المسؤول عن طرد الأرواح الشريرة و معالجة المرضى.

ب- مشمشو: يقوم بأعمـال العرافـة و قـراءة الطـالع، كمـا يشـرف علـى تطهـير المعبد بواسطة الماء و الزيت.

جـ- نـارو: يقوم بتنظيم قراءة التراتيل الدينية.

د- گالو: يقوم بأعداد الآلات الموسيقى وعزف الموسيقى الدينية.

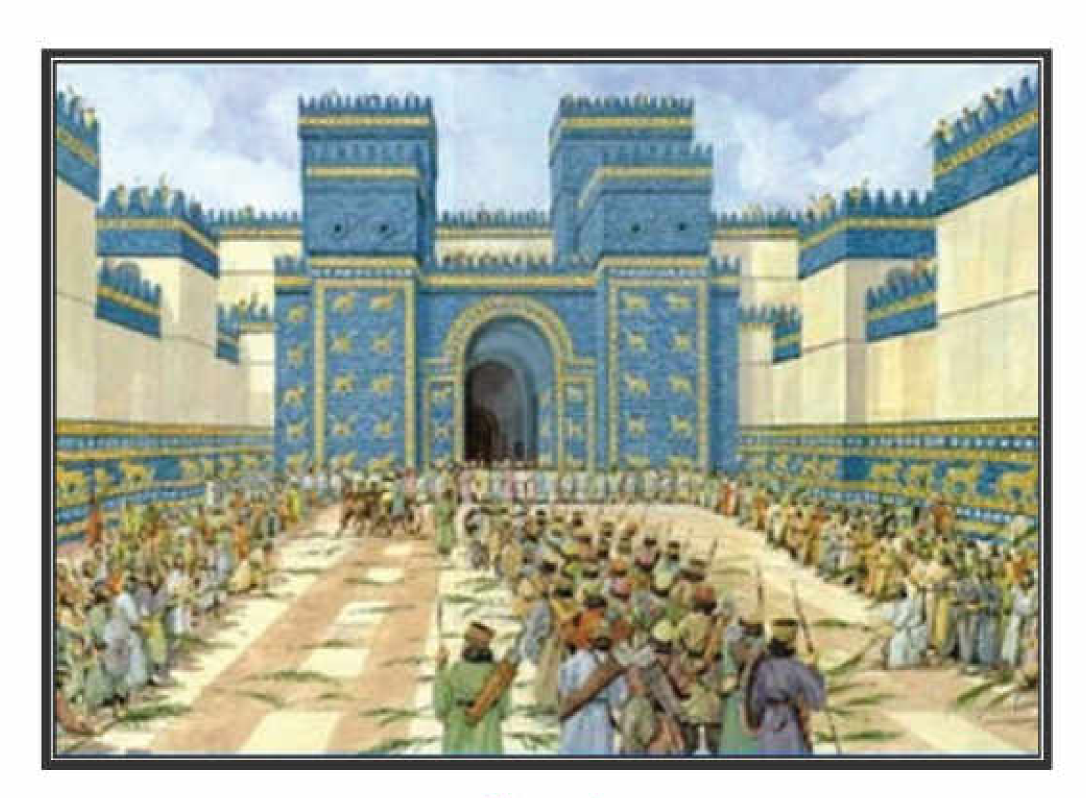
هـ- شيشكلو: هو المشرف على كافة طقـوس المعبـد و يشـرف علـى إحتفـالات رأس السنة و تجديد بيعة الملك.

كما كان للكاهنات دور بارز في إدارة شؤون المعابد و خدمـة الألهـة و ممارسـته الطقوس الدينية.

عيد رأس السنة (أكيتو)Akitu :

إرتبط ذلك العيد بمعتقدات سكان وادي الرافدين. بدأ الأحتفـال بـه منـذ العهـد السومري.، ثم أُحتفل به في بلاد بابل وآشور الا انـه أرتـبط أكثـر بـبلاد بابـل. ويرمز العيـد الى تجـدد الحيـاة المتمثلـة بعنفـوان النمـو وإخضـرار الأرض ودب الحياة في النباتات و الأشجار و الطيور و الحشرات و الحيوانات و كذلك يرمز الى الزهور و الجمال كان الأحتفال بالعيد يبدأ في بداية شهر نيسان و يسـتمر إثنتـا عشر يوماً. خصصت الأيام الخميس الأولى للتطهير و الطقوس الدينيـة و يسـير الموكب في شارع خاص في مدينة بابل سمي بشـارع الموكـب و يخـرج مـن بـاب عشـتار الى خـارج أسـوار المدينـة حيـث المعبـد الرئيسـي لأحتفـالات رأس السنة.وعند إنتهاء سير موكب الألهة يعيد الكاهن شارات الملك إليه حيث تصل

الأحتفالات الى الذروة. وتعاد في اليوم الآخر تماثيل الألهـة الى معابـدها و ينتهـي الأحتفال يتم أثناء العيد تجديد بيعة الملك و إتباع الشرعية علـى حكمـه لسـنة أخرى. وكان يتم في العيد نوع من التنسيق بين الملك و الكهنة لتقسيم



عيد رأس السنة في بابل

السلطة و النفوذ، فضلا عن كونـه رمـزاً دينيـاً يشـير الى الخصـوبة و التكـاثر و فصل النمو و رمز تجدد الحياة.

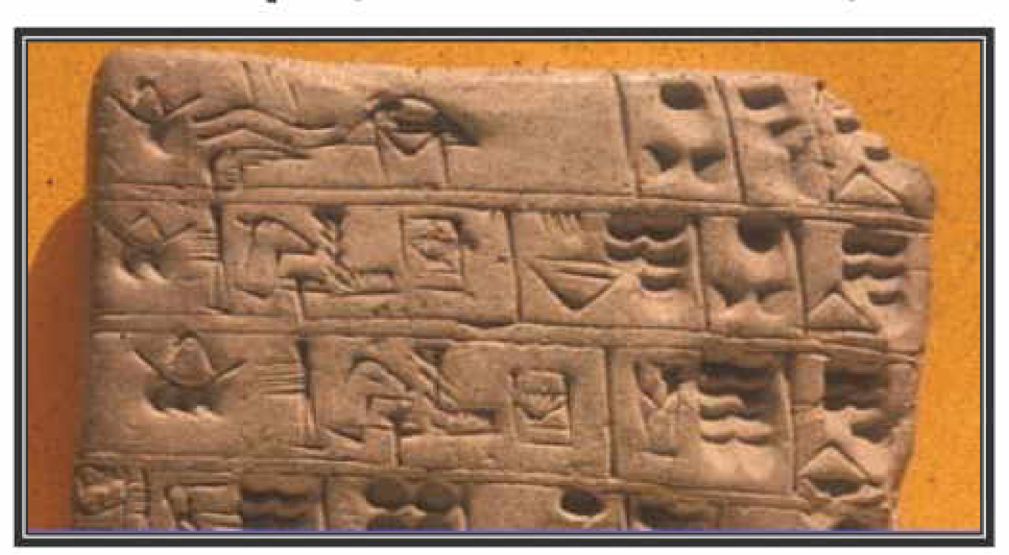
ومن الجدير بالذكر أن العديد من أعياد شعوب العـالم تـرتبط بالطبيعـة و تغـير الفصـول و نضـج المحاصـيل الزراعيـة و مواسـم البـذور و منهـا أعيـاد الكـورد الأيزديين و عيد الفصح لـدى المسـيحيين و عيـد نـوروز لـدى الكـورد قاطبـة و الأقوام الآرية الأخرى والذي أصبح عيداً قومياً لدى الكورد.

ثالثاً : الكتابة و التعليم :

إبتدع السومريون رسوماً رموزاً و علامات خاصة، أستخدموها للتعبير عن الأشياء بلغتهم. كتب السومريون تلك الرموز على ألواح الطين بقلم مصنوع من القصب مثلث أو مستطيل المقطع. و طبعت تلك الرموز على ألواح الطين الطرية وبعد ان تجف تلك الألواح تظهر الرموز على الواح الطين بهيئة أسفين أو مسامير( )لذا سميت بالخط المسماري أو الكتابة الأسفينية ((Cuneiform)). مرت الكتابة المسمارية بثلاث مراحل:

المرحلة الصورية (Pictographic):

رسم الانسان صورة مصغرة للاشياء التي أراد التعبير عنها او أراد أن يشير إليها، فمثلا إذا أراد أن يشير الى جبل رسم صورة الجبل ((KUR = Δ)) وإذا أراد أن ليشير الى سمكة رسم صورتها وهكذا وعبر الكاتب في تلك المرحلة عن الاشياء المادية بالدرجة الاولى وإستخدم في المرحلة الصورية قلم مدبي الرأس، إذا تم العثور على اكثر من خمسة الاف لوح طيني في الوركاء.



لوحة المسمارية تظهر عليها الكتابة الصورية

المرحلة الرمزية ((I deographic)):

كانت العلامات الصورية عاجزة للتعبير عن الأفكاروالافعال، لذا إبتكر الكتاب علامات رمزية للتعبير عنها. ولم تعد العلامات الصورية تعبر أو تدل على الاشياء المادية فقط، بل عدت ترمز الى كل الاسماء والافعال والصفات التي ترتبط بالشيء المرسوم. فمثلا رسم صورة النجمة لاتدل على النجمة فحسب بل ترمز الى العلو. ورسم صورة القدم ترمز الى الوقوف والذهاب والحمل والجري.

المرحلة الصوتية (المقطعية) Phonetic:

إستخدمة في تلك المرحلة العلامات الصورية والرمزية من أجل قيمتها الصوتية فقط، بغض النظر عن معانيها الصورية أو الرمزية. وأصبحت الكتابة أشبه بالحروف الأبجدية مع فرق واضح هو أن الحرف الأبجدي يمثل صوتاً منفرداً مثل حرف م أو د أو ر ، في حين يمثل المقطع الصوتي صوتاً صامتاً حرف علة قبله او بعده مثل ما، مو، أم او يتألف من حرفين صامتين بينهما حرف علة مثل نين (سيدة) ((NIN))، كور (KUR) ولاتدل العلامات الصورية او الرمزية على لغة الكتابة لانه يمكن التعبير بها عن الاشياء بأي لغة. وفي المرحلة الصوتية إتضح أن السومريين استخدموا تلك الصور والعلامات مع مقاطع القيم الصوتية، للتعبير عن لغتهم، لذا تبنوا لغتهم بهيئة مقاطع لان اللغة السومرية من اللغات اللصيقة، يتم دمج مقطعين او أكثر لتعطي معناً جديداً فمثلا: إن = سيد انليل = هواء، عند دمج المقطعين تصبح الكلمة إنليل = سيد الهواء أو إله الهواء وكذلك الكلمات إنكي = إله الارض وانليل = سيدة الهواء. وكلمة أي = قصر وگال = عظيم عند دمج المقطعين تصبح أيگال = القصر العظيم أي

قصــر الملــك و هكــذا. تطــورت الكتابــة علــى أيــدي الاكــديين والبــابليين والاشوريين،حيث إقتبس هؤلاء الخط المسماري ودونوا بها لغاتهم واختصروا العلامات بالتدريج، فبعد أن كان عدد العلامات نحو (١٨٠٠) علامة إختصرت لدى الى الاشوريين الى نحو (٢٠٠) علامة،بسبب إستخدام الاقوام الاخرى الكتابة السومرية المسمارية، إنتقل تأثير لغتهم الى لغة تلك الاقوام.

المدارس: لم تكن ثمة مدارس في وادي الرافدين بالمفهوم الحديث للمدرسة وانما وجدت أماكن لتعلم القراءة والكتابة والحساب. وتم تخصيص جناح من المعبد ليقوم بمهمة التعليم وكان اول المعلمين هم الكهنة واول المتعلمين هم أبناء الكهنة وأبناء الميسورين من آفراد المجتمع وخصص الملوك جناحاً في قصورهم لتعليم أبنائهم وبناتهم.أطلق على المدرسة في اللغة الكوردية السومرية بيت الالواح E. D U B A (ومنها أشتقت الكلمة الكوردية (بتان التي تطلق الان على المدرسة)، لان التعليم كان يتم باعداد الواح من الطين تدعى بـ(الواح المدرسة). فأصبحت المدرسة في الوقت ذاته عبارة عن مكتبة واطلق لفظ E. D U B A على المكتبات أيضاً. كان التعليم يبدأ في حدود سن السابعة، اذ كان التلميذ يتعلم القراءة والكتابة اولاً ثم ينتقل الى مرحلة اعلى فيقوم بدراسة الفلك والطب والحساب في المرحلة الثانية .في اللغة الاكديةاطلق عليها بيت ممو (bet mamu) أي بيت الحكمة. أطلق على المدرس الذي يتولى الادارة أبو المدرسة ويسمى المدرس الذي يعلم التلاميذ بالاخ الكبير. وكان من أهم واجباته كتابة الالواح الجديدة للطلبة ويطلب منهم استنساخها، كما كان يقوم بفحص نسخ الطلبة ويستمع الى تحضيرهم اليومي. وظهر

التخصص في التعليم إذ وجد مدرس للرسم وآخر لتعليم اللغة واخر يتابع حضور الطلبة وإنتظام دوامهم. ولا تشير النصوص الى رواتب المدرسين ولكن يمكن الاستنتاج من قراءة النصوص بأنها كانت قليلة، لاتتناسب مع جهودهم من تعليم الطلبة في تعليم الطلبة، مما دفع بعض أولياء أمور الطلبة الى تقديم الهدايا لهم بغية تحسين مستوى أبناءهم وحسن معاملتهم.

المكتبات: إهتم الملوك والكهنة بجمع النصوص المسمارية ولا سيما النصوص الدينية والمؤلفات الادبية وقاموا بتنظيمها ووضعوها في أماكن أعدت لها، فنشأ ما يسمى بالمكتبات. وتم العثور على مكتبات ملكية في نفر والوركاء وكيش وبابل والنمرود (كلخو). وقام الملك الاشوري آشور بانيبال (٦٦٨- ٦٢٦ ق.م) بجمع الالواح المسمارية من مدن العراق المختلفة ونظم منها مكتبة في قصره، ضمت أكثر من (٢٠) ألف لوح مسماري. وكان ثمة من يشرف على حفظ تلك الالواح وسمي أمين الالواح (المكتبة)، حيث تم حفظ الالواح في سلال من القصب او صناديق خشبية أو جدار من الفخار ويوضع الى جانبها لوح صغير (بطاقة) للتعريف بالالواح ومضمونها.

رابعاً: النصوص المسمارية

تم العثور على نحو مليون نص مسماري في وادي الرافدين. وتتناول تلك النصوص المسائل الاقتصادية والدينية والادبية والقانونية والآدارية والرياضيات والفلكية ونصوص الفأل والتنجيم والامثال ونصوص أخرى.

أ- الادب: تعد نسبة النصوص الأدبية قليلة قياساً الى عدد النصوص المكتشفة. وتشمل النصوص الأدبية الاساطير والملاحم وعادة تكون مطولة

ومكتوبة على عدة ألواح. ومن أشهرها الاساطير التي تتحدث عن الالهة ومنها قصة الخليقة البابلية التي تتحدث عن عالم الالهة وخلق الكون والانسان. وقدكتبت بأسلوب شعري، عثر على نسخة منها مدونة على سبعة ألواح في مكتبة نينوى.

وتتحدث الملاحم عن البشر و تنسب له صفات خارقة. ومن أشهرها ملحمة گلگامش التي دونت على (١٢) لوح و كتبت بأسلوب شعري. تتحدث الملحمة عن گلگامش ملك الوركاء و صديقه أنكيدو و بطولاتهما ثم مرض أنكيدو و فمات و حزن گلگامش للتخلص من الموت دون جدوى. تضمن الملحمة عواطف إنسانية مثل الصداقة و الوفاء و الهرب من الخطر. و توحي الملحمة بأن الأنسان يبقى خالداً فقط عندما يخدم شعبه و ينجز أعمالاً ذات نفع عام، و تساعد على بقاء ذكراه.

و ثمة نصوص أدبية أخرى، منها أدب الحكمة و يشمل الأمثال و النصائح و الحكم. ومن تلك النصوص:

الناس بلا ملك مثل قطيع الغنم بلا راع إطع كلام أهل كأنه أمر إلهي، منها قصة أيوب البابلي.

ب - القوانين: بغية تنظيم المجتمع ومعالجة مشاكل الناس وإقوام الحقوق والواجبات وإزالة الظلم عن الضعفاء، دأب حكام وملوك وادي الرافدين على اصدار الاصلاحات والمراسيم وتشريع القوانين. وتشير مقدمة القوانين الى تمجيد الالهة وبان الملك الذي شرع القانون نفذ رغبة الالهة، لنشر العدالة وتحقيق الرفاهية للسكان. أما خاتمة القوانين فتتحدث عن إنجازات واضع

القانون والدعوة الى المحافظة عليه وعدم إزالته، مهددين بان من يحاول تغييرها ستنزل عليه لعنات الآلهة.

أصـدر أمـير لگـش أوروانميكينـا (أوركاجينـا) اول لائحـة للاصـلاحات الاجتماعية في حدود سنة ٢٤٠٠ ق. م لوضع حد لاعتداء القوي علـى الضـعيف، كما أنه خفض الضرائب وأرجع الحقوق لاصحابها وأطلق الحريات.

ووصلت الى إيدي الباحثين عدد من القوانين، حيث تم إكتشافها أثناءالتنقيبـات الاثرية وهي:

١- قانون اورنمو (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق. م):

وهو أقدم قانون اكتشف حتى الان دون القانون باللغـة السـومرية ويتكـون مـن مقدمة و (٣١) مادة قانونية وخاتمـة. بعـض المـواد القانونيـة لا يمكـن قراءتهـا لانها مخرومة (تالفة) على اللوح الطيني. أخذ قانون اورنمو بمبـدأ التعـويض في تحديد العقوبة، مما يدل على تحضر المجتمع السومري، إذ ورد ذلـك واضـحاً في المادة (١٥):

إذا قطع رجل ... قدم رجل آخر عليه أن يدفع عشرة شيقلات من الفضة.

٢- قانون لبت عشتار (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق. م):

وهو خامس ملك من ملوك سلالة إيسن، وضع قانونه باللغـة السـومرية أيضـاً و يعتقد بأن القانون كـان يضـم مائـة مـادة إلا أن المـواد الـتي وصـلت الى إيـدي الباحثين هي (٣٧) مادة. وأحكامه مشابهة الأحكام قانون اورنمو، حيث يظهـر مبدأ التعويض واضحاً فيها.

٣- قانون أشنونا:

ينسب الى مملكة أشنونا في منطقة ديالى. عثر على نسخة مدرسية للقانون في تل حرمل قرب بغداد الجديدة. كتبت المقدمة باللغة السومرية، أما المواد القانونية الستين فقد دونت باللغة الأكدية. ويظهر أثر الحضارة السومرية واضحاً على القانون، إذ أكدت أحكام القانون على حماية حقوق الآخرين على ضوء جسد التعويض.

٤- قانون حمورابي: (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م)

وهو أكمل القوانين المكتشفة و أنضجها دون القانون على مسلة من حجر الديورايت الأسود وتم إكتشافها في مدينة سوسة عاصمة بلاد عيلام (منطقة الأهواز) سنة ١٩٠١م. ويبدو ان العيلاميين نقلوها الى بلادهم بعد غزوهم لبابل كغنيمة. يبلغ إرتفاع المسلة (٢٢٥سم) و قطرها (٦٠سم) و نقش في اعلى المسلة صورة تمثل إله الشمس وهو جالس على عرشه ويقف امامه الملك حمورابي وقفة المتعبد. تضم المسلة (٤٤) حقلاً من الكتابة المسمارية باللغة الأكدية، حيث كتبت المقدمة باسلوب أدبي قريب من الشعر. أما الخاتمة فكتبت بأسلوب شبيه بالمواد القانونية. وعالجت المواد القانونية البالغة (٢٨٢) مادة مختلف المسائل الأجتماعية و الأقتصادية و العسكرية.


مسلة حمورابي

لذا يمكن تبويب قانون حمورابي على النحو الآتي:

الباب الأول/ التقاضي (المواد من ١- ٥)

الباب الثاني/ الأموال (المواد من ٦- ١٢٦)

البابب الثالث/ الأحوال الشخصية (المواد من١٢٧- ٢١٤)

الباب الرابع/ الأجور (المواد من ٢١٥- ٢٧٧)

الباب الخامس/ الرقيق (المواد من ٢٧٧ - ٢٨٢)

وعلم الرغم من غزارة المواد القانونية فأن قانون حمورابي لم يعالج كافة المسائل ولا سيما القضايا المهمة مثل القتل العمد وإختطاف الاشخاص وخيانة الوطن. ويبدو أن تلك المسائل تركت للعرف السائد او التقاليد القانونية المعمول بها سابقاً، في حين عالج القانون القضايا التي أراد الملك تثبيتها. يظهر مبدأ القصاص واضحاً في قانون حمورابي وهو غالب على مبدأ التعويض ويعني ذلك سيادة البدو الاموريين على العراق وإنتهاء دور السومريين السياسي، لذا إتمت قوانينهم بالقوة بسبب زيادة عدد السكان وكثرة التجاوز على حقوق الغير ما تخذت اجراءات رادعة كما يظهر صداها في القانون وبالمقابل ضعف جداً التعويض .

وإليك نموذجاً من قانون حمورابي:

المادة (٦) إذا سرق رجل حاجة تعود للأ له أو القصر فان ذلك الرجل يعدم ويعدم كذلك من تمسك بيده الحاجة المسروقة.

خامساً : الحياة الأجتماعية

كما إن البحث عن الحياة الأجتماعية يعد من الأمور الممتعة، لعلاقته مع السكان بهدف التعرف على طبيعة العلاقات الأجتماعية و مشاكل السكان و مستواهم المعاشي و الثقافي و أسلوب حياتهم اليومية و عاداتهم و تقاليدهم و الطبقات الأجتماعية، فضلا عن لغاتهم و طبيعة مساكنهم.

أ- الطبقات الأجتماعية : كان مجتمع واي الرافدين يتكون من طبقتين رئيسيتين هما الأحرار و العبيد، إستناداً الى القوانين و الأعراف و السائدة. وأفراد طبقة الأحرار في الواقع لم تكن ذات مستوى واحد،لأن حرية العديد من الناس كانت قصيرة. لذا فأن الطبقة العامة التي كانت تؤلف نسبة كبيرة في السكان و أغلبهم من الفقراء كانت أقل من أفراد الطبقة الحاكمة و الأغنياء، حتى سميت تلك الشريحة الأجتماعية في قانون حمورابي باسم المساكين (مشكبينم) أو الفقراء، في حين سميت الطبقة المتنفذة بالطبقة الأولى (أويلم).
ومن الناحية العملية كان المجتمع في وادي الرافدين يتكون من الطبقات الآتية:

١- الأسرة المالكة :

وتضم الملك و زوجاته وأولاده. تحتل مكانة إجتماعية و دينية عالية، عاشوا في قصور فارهة، مزودة بجميع وسائل الراحة المتيسرة آنذاك. وكان يقوم على خدمتهم عدد كبير من الخدم، من الأماء و العبيد.

٢- الطبقة الحاكمة :وتضم أمراء البيت الملكي و النبلاء وأصحاب الأراضي الواسعة وقادة الجيش وحكام الأقاليم و كبار الكاهنات و الكهنة و كبار التجار.

٣- القضاة و الأطباء : وتضم الكتبة و المدرسين و أصحاب المهن وكانت حياتهم مرهفة نسبياً.

٤- الطبقة العامة : و تضم صغار التجار و الحرفيين و العاملين في الحقول و البساتين. عاش أفرادها في بيوت صغيرة و أعتمدوا في معيشتهم على كسبهم اليومي. وكثيراً ما وقع أفرادها تحت طائلة الديون و خاصة في فترة الأزمات الأقتصادية، فأضطروا الى بيع أبنائهم أو بناتهم أو فقدوا حريتهم وأصبحواعبيداً.

٥- الرقيق(العبيد): و تشمل الرجال و النساء وهم عادة من أسرى الحروب أو ممن فقد حريته بسبب الفقر. كما كان الأطفال الغير شرعيين يؤولون الى العبودية عادة وأصبح نسل العبيد مصدراً أخر للأرقاء.

كان الرقيق يعد في ممتلكات سيده و ينسب اليه عادةً ويتم وضع علامة العبودية على يده أو جبينه. و يحق للسيد بيع أو أهداء عبده أو أمته. ومع ذلك كان للرقيق بعض الحقوق ان كان يحق لهم الزواج و التملك. و عاقبت القوانين من يعتدي على الرقيق.

ب- الأسرة: كان يتم بناء الأسرة وفق الأعراف و التقاليد و القوانين السائدة. وتبدأ الخطوة الأولى بأختيار الفتى شريكة حياته من خلال وساطة الأخرين أو إختيار والديه له. وبعد ذلك تتم الخطوبة وبعد موافقة أهل الفتاة تقدم الهدايا الى العروسة و تقام الأحتفالات التي تتضمن بعض المراسيم، منها حب الزيت و العطور على رأس الفتاة. وقد تفسخ الخطوبة عند ظهور الخلافات العائلية. وكان الزواج يتم في سن مبكرة، فبعد إتمام الخطوبة يتم تدوين عقد الزواج فيأخذ الزواج حكمة القانوني وتنتظم العلاقة بين الزوجين مع ما يترتب على ذلك من إلتزامات إجتماعية. كانت سلطة الزوج مطلقة ويسمى برب الاسرة وعليه أن يعيل كانت حقوق الزوجة في المرتبة الثانية، حيث أن أن تعدد

الزوجات بات امرأ معروفاً ولكن في حالات معينة مثل مرض الزوجة و عدم إنجابها للاطفال كما كان التدى شائعاً بين الاغنياء، والعصمة كانت بيد الرجل كما هومتبع في الوقت الحاضر. ونص قانون حمورابي على حق الزوجة للمطالبة بالطلاق إذا مارس زوجها أعمالا تحط من سمعته وسعمة زوجته.

سادساً: الحياة الاقتصادية

أ- الزراعة والرى:

١- الزراعة:

تتوفر في أرض الرافدين مساحات واسحة من الاراضي الخصبة، لا سيما السهول الفيضية في الجنوب. والمشكلة التي واجهت السكان هو ندرة سقوط الامطار الى درجة لاتكفي لزراعة أية محاصيل زراعية، لذا تم الأعتماد على شق الترع و الجداول من نهري دجلة و الفرات، لأرواء الأراضي المزروعة. وكانت الظروف المناخية ملائمة لزراعة أنواع مختلفة من المحاصيل الحقلية و الأشجار، لذا أصبحت الزراعة محور الحياة الأقتصادية منذ عصور مبكرة.

وإرتبط خدمة الرعي بالزراعة وقام السكان بتربية الأغنام و الماعز و الماشية. وأستفادوا من الماشية في حراثة الحقول الزراعية وجر العربات. وأهم المحاصيل التي زرعوها هي الحبوب مثل القمح و الشعير و العدس و الذرة و الباقلاء، كما زرعوا السمسم و الدخن و غرسوا اشجار الخوخ و الرمان و التين و النخيل و زرعوا أيضاً القطن و نباتات الزينة.

٢- الري: نظم سكان وادي الرافدين نظاماً فعالاً للري، عبر شبكة من القنوات و الجداول و الترع، كما أهتموا ببناء السدود و تقويتها، لدرء خطر الفيضان و

إيصال المياه الى قنوات الري الرئيسية. وساعد أرتفاع مستوى الأنهار في بعض المناطق عن الأراضي السهلية على أن يتم الري سيحاً.

حرص الحكام و الملوك على تنفيذ مشاريع الري وإدامتها و تطهير القنوات و الجداول و الترع من الأدغال و المواد الغرينية و تقوية السدود بأستمرار وأشارت مواد قانونية عديدة الى مسائل لسقي الحقول وما يترتب عليه من عقوبات في حالة إهمال الترع و الجداول.

٣- ملكية الأراضي الزراعية :

كانت معظم الأراضي الزراعية ملكاً للمعبد في العصر السومري. و يقوم المعبد بأستغلالها أو بأعطائها الى أناس آخرين لقاء خدمات يقدمونها للمعبد أو يؤجر للفلاحين، مقابل نسبة محددة من الأنتاج أو يستغل بشكل مباشر من قبل إدارة المعبد.

٤- المشاكل الزراعية :عانت الزراعة في بلاد وادي الرافدين من بعض المشاكل ومن أبرزها إرتفاع نسبة الملوحة في الأرض بالتدريج، بسبب عدم معرفتهم البزل و صعوبة السيطرة على الفيضانات. وعانت الزراعة في بعض السنوات من شحة المياه بسبب انخفاض مستوى مناسيب الأنهار وتعرضت أيضاً لآفات أخرى مثل ظهور حشرة السونة أو الجراد أو الأمراض النباتية أو تعرض البلاد الى الغزو في موسم الحصاد. وكانت الالات الزراعية المستخدمة بدائية، حيث أستخدم المحراث الخشبي، قبل إستخدام المحراث المعدني، كما أن أدوات الحصاد و العزق و الجرش كانت بدائية أيضاً، مما تطلب الكثير في الجهد و الوقت، لذا جعلت المُزارع مرتبطاً بحقله معظم أيام السنة.

ب- التجارة:

كان تطور الزراعة سبباً في ظهور التجارة. فعندمازاد الأنتاج الزراعي عن حاجة الآنسان، بدأ يبحث عن بيع فائض إنتاجه أو مقايضته بحاجات أخرى ومنها الالات الزراعية وهذا ما ساعد على تخصص بعض الافراد بصناعة الالات الزراعية والادوات المنزلية، فظهر نوع من تقسيم العمل، وهذا ماساعد على تطور عملية التبادل او المقايضة وتلك هي بداية التجارة. وكانت التجارة على نوعين:

التجارة الداخلية: ويقصد به المبادلات التجارية بين سكان وادي الرافدين، اماالتجارة الخارجية: فتعني نقل البضائع او الخدمات بين سكان وادي الرافدين والمناطق الآخرى مثل بلاد الشام وإيران واسيا الصغرى.

كان للتجارة الخارجية أثر كبير على زيادة النشاط الاقتصادي، كما انها ساعدت على إنتقال المظاهر الحضارية من وادي الرافدين الى المناطق المجاورة. كان لسكان وادي الرافدين علاقات تجارية مع سوريا وإيران واسيا الصغرى ومنطقة الخليج، حيث إستوردوا من تلك المناطق الاخشاب والمعادن والاحجار الكريمة وصدروا إليها الحبوب والصوف والالات الزراعية،ولم تكن النقود معروفة لذا أتخذ الشعير في البداية وسيلة للتبادل التجاري اذ كان يتم تحديد سعر البضائع الاخرى بعدد حبات الشعير ثم اصبح الفضة وسيطاً للتبادل التجاري وقدر ثمن البضائع والاجور بالفضة وظهر مصطلح شيقل وهي وحدة وزن من الفضة.

وارتبطت التجارة أيضاً بعملية ضبط الاوزان ووضع المكاييل لكيل الحبوب. ولعب الملوك والحكام دوراً بارزاً في تثبيت الموازين والمكاييل

واستخدموا مصطلح كور الاكدي لوحدة الكيل.أما الاسعار فلم تكن ثابتة، بل كانت تتغير وفق قانون العرض والطلب، فكانت الاسعار ترتفع وقت الازمات الاقتصادية ويزداد الطلب على السلع بسبب الحروب أو الجفاف.

سابعاً : العلوم والمعارف : وضع سكان وادي الرافدين اللبنات الاولى للعديد من العلوم والمعارف. وكان صراع الانسان مع الطبيعة عنيفاً وطويلاً الا أنه خرج منها قوياً بعد أن تحدى صعوبات البيئة، فتغلب عليها وسخرها لنفسه وفق حاجاته الضرورية واهتدى الى وسائل عديدة عن طريق التجربة واضعاً البدايات الاولى للمعلوم والمعارف العامة في وادي الرافدين.

أ- الرياضيات : تعد الرياضيات من العلوم التجريبية والتطبيقية وتشمل الحساب والجبر والهندسة. تكون هذا العلم ونما لدى العراقيين القدماء لحاجتهم اليه في عمليات البناء مثل بناء الزقورات وإقامة السدود وحاولوا الجمع بين الجبر والهندسة لتنفيذ تلك المشاريع. وعرفوا العدد وجردوه من المعدود، فنشأ علم الحساب. والفرق بين رقم واحد ورقم عشرة عندهم هو أن العلامة المسمارية التي تمثل الرقم عشرة أكبر حجماً (١) 𒁹، (٢) 𒁹𒁹، (٣) 𒁹𒁹𒁹، (٤) 𒁹𒁹𒁹𒁹، (١٠) 𒌋 وهكذا. ولم يعرف السومريون النظام المئوي.

ب- الفلك Astronomy : وهو علم رصد الاجرام السماوية ومعرفة حركتها و دورانها، وله إرتباط وثيق بالرياضيات. وأهتم سكان وادي الرافدين بعلم الفلك، لمعرفة الفصول و المواسم وضبط الوقت من خلال رصد النجوم و الكواكب و الأبراج السماوية المعروفة لديهم. وتطور الرصد الفلكي من العصر الكاشي و الفترات التي تله درس البابليون الظواهر الفلكية و نظموا حساباتهم على أسس

رياضية، فأستطاعوا معرفة حدوث ظاهرتي الخسوف و الكسوف و ضبطوا ايام السنة و طول الليل و النهار و تغييرها، كما نظموا الجداول الفلكية. و إتخذوا من سطح الزقورة مركزاً للرصد الفلكي في الوركاء و بابل و سپاروأربائيلو (أربيل).

حقق سكان وادي الرافدين تقدماً ملحوظاً في علم الفلك، فعرفوا بأن الشمس مركز الكون و قسموا السماء الى إثني عشر برجاً فخصصوا كل برج لأحد الأشهر، كما حددوا بدقة حركة القمر و عرفوا الأعتدال الربيعي.

جـ- الطب: إرتبطت مهنة الطب بالكهنة و أعتقد بعض الناس بأن سبب المرض هو غضب الألهة على الأنسان و تسليطها العفاريت و الأرواح الشريرة عليه، لأنه خرج عن طاعتها، كما نسبوا المرض الى السحر الأسود الذي كان ينفذه بعض الناس، حسب إعتقادهم، ضد الآخرين لذا عاقبت القوانين بقوة كل من تثبت عليه ممارسة ذلك النوع من السحر المؤذي. وعرف بعض الناس بأن للبيئة أثر على إصابة الأنسان بالمرض، كما عرفوا العدوى و إحتمال إنتقال المرض من المريض الى الآخرين.

وإستعان الناس بالكهنة لطرد الارواح الشريرة من جسم المريض وإختص بذلك كاهن عرف باسم أشيپو (asipo). وإستخدم أشيپو التعاويذ والرقي و الأحجبة و التمائم التي كانت تعلق بعضها في عنق المريض من أجل شفائه وطرد الأرواح الشريرة، كما كان أشيپو يقدم الأضحيات و الهدايا من أجل شفاء المريض. وثمة كاهن آخر يتنبأ بمصير المريض و يعرف بالعراف بارو (baru)

و يستخدم في عمله السحري الزيت و الماء و الدخان أو فحص الكبد و مراقبة النجوم و الأجرام السماوية.

ثم ظهر الطب العلمي الذي يعتمد على ملاحظة المريض و مراقبته، لمعرفة أعراض المريض، بغية تشخيصه ووصف الدواء له. وكان يقوم بتلك المهمة شخص سمي في اللغة الأكدية آسو (aso) بمعنى الطبيب. وكان آسو يدرس في مدارس خاصة ليتعلم المهنة مثل مدارس نفر و إيسن و پورسپا و الوركاء. وللطبيب زي خاص يرتديه أثناء العمل. أشار قانون حمورابي الى الطبيب في أكثر من مادة، تتعلق بأجرائه العمليات الجراحية و أجور العملية و ما يترتب من عقوبات في حالة إجراء عملية جراحية فاشلة.

لم تكن ثمة مستشفيات أو عيادات طبية إذ كان الطبيب يتابع مرضاه و يزورهم في بيوتهم و يصف لهم الدواء و إعتمد على الأعشاب و النباتات في إعداد الأدوية، كما أستفادوا من الأملاح و المعادن و بعض المنتجات الحيوانية. وعرفوا الطرق الكيميائية لعمل الأدوية عن طريق التركيب و التسخين و التقطير و التشريح. وكان الأطباء يعدون الأدوية.

د- الكيمياء: كان لسكان وادي الرافدين إلمام ببعض العمليات الكيميائية منذ وقت مبكر. فصناعة الفخار و تلوينه كانت عملية كيميائية و كذلك ظهر المعادن و خلط النحاس مع القصدير لعمل سبيكة البرونز وكذلك صياغة الذهب وتنقيته من الشوائب تعد عمليات كيميائية. وبرع سكان وادي الرافدين في صياغة الحلي الذهبية للزينة، كما تمكنوا من صناعة الصابون والزيوت النباتية.

ثامناً : الفنون والعمارة:

إرتبطـت اولى الممارسـات الفنيـة لـدى سـكان وادي الرافـدين بصـناعة ألاتـه وأدواته، حيث مارس ذوقه الفني عبر صناعة الاواني الفخارية، باختيـار شـكلها والقيام بتلوينهما وتزيينها. وصنع الانسان أواني فخارية جميلة في عصر حلـف إتسمت بدقـة صـناعتها وألوانهـا الجميلـة وتزيينهـا بزخـارف نباتيـة وحيوانيـة وهندسية.

أ- الاختـام الاسـطوانية: تطـورت الاختـام المنبسـطة المسـتخدمة في عصـر حضارة حلف الى اختـام اكثـر ملائمـة للاسـتخدام في العصـر الشـبيه بالكتـابي (٣٥٠٠ – ٢٨٠٠ ق. م) بعـد أن إتخـذت شـكلاً أسـطوانياً حيـث تم العثـور علـى اختام اسطوانية في الوركاء.

والختم الاسطواني عبارة عن حجرة او خرزة إسـطوانية الشـكل، يـتراوح قطرهـا بـين سـنتيمتر واحـد الى بضـع سـنتيمترات ويـتراوح طولهـا بـين ٢ – ٨ سـم. وتصـنع مـن الاحجـار الجميلـة والثمينـة. والخـتم الاسـطواني مثقـوب طوليـا في الوسط، ليعلق في الرقبة،حفاظاً عليه من الضياع. وعمل العديـد مـن الاشـخاص اختاماً خاصاً بهم،حفروا عليها أسماءهم بصورة معكوسـة لتظهـر علـى الالـواح الطينية بصورة صحيحة أثناء دحرجة الختم عليها.

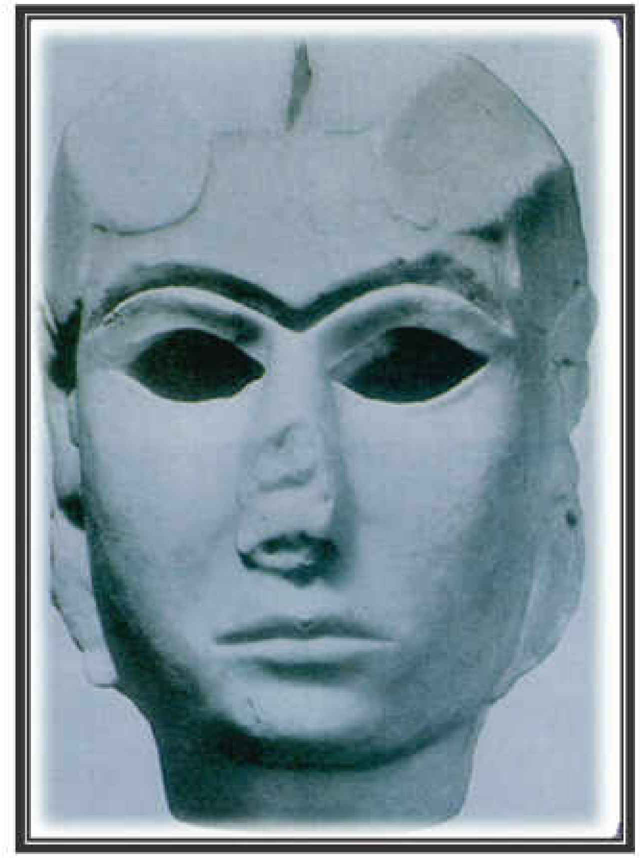
وعادة كان يتم نقش الزخارف والمناظر الطبيعية وصور الحيوانـات الخرافيـة او مشهد للولائم او صراع الابطال علـى الاختـام، فاصـبحت حقـلاً خصـباً للـنقش عليها، لذا يمكن الأستعانة بالأختام الأسـطوانية لدراسـة المميـزات الفنيـة لكـل عصر من العصور، إذا كان لكل عصـر أختامـه المميـزة. فهنـاك أختـام عصـر

دويلات المدن السومرية وأختام العصر الاكدي والاختام الخورية والاختام الآشورية.

وتعد الاختام الأسطوانية ونقوشه وموضوعه الفني، تبعاً للتطوارت الحضارية. وإقتبس سكان الشرق القديم استخدام الاختام الاسطوانية من سكان وادي الرافدين.

ب- النحت: برز سكان وادي الرافدين في مجال فن زياده فن النحت وتركوا نماذج كثيرة من تلك المنحوتات على الحجارة او الالواح الحجرية أو المسلات. و تركوا منحوتات بارزة (ناتئة) كثيرة في حين كان عدد المنحوتات المجسمة قليلاً.

والنحت المجسم هو عمل تماثيل للأشخاص أو الآلهة ومنه رأس فتاة سومرية من الرخام عثر عليه في الوركاء، كما عثر على على عدد من تماثيل الأشخاص الفخارية في منطقة ديالى. و عثر على رأس مصنوع من البرونز للملك الاكدى سرجون ، وترك ملك السومرين (كوديا) كثيراً من التماثيل المصنوعة من حجر ديورايت الاسود توجد عليها



رأس فتاة السومرية من ارخام

كثيراً من الكتابات حيث يظهر عليها ملك السومرى بهيئة شكل صغير مزييناً لحيته وهذا لاكرام لتمثال الالهة التى مازال تمثالاً كبير الهيئة مع تكبير العينين والاذنيين رأس فتاة السومرية من الرخام.



وترك الملك الاكدى (نرام سين) منحوتات كثيراً منها منحوتة منطقة (دربند كاور)بالقرب من (قرداغ) فى كوردستان وفيها يظهر الملك الاكدى يصعدالجبل وتاجه مقرون على رأسه وهذا تشبه مسلة النصر التى يظهر عليها الملك الاكدى (نرام سين) منتصراً على لولوميين .

وفى سنة١٩٧٥م عثر على تمثال مصنوع من البرونز لنرام سين الاكدى فى قرية (باسلكى) الواقعة بين مدينتى (سيميل و زاخو).

وقد تطور فن المنحوتات عند الاشوريين تطوراً كبيراً وغالباً ما يمثل تماثيل الالهة والملوك.وقام ملوكهم بوضع اللوحات فى مداخل قصورهم ويزخرفون على رأسها صور المعركة والعيد والاسد ، و(مسلة الاسود) للملك الاشورى شلمنصر الثالث يظهر عليها الملك واقفاً و تتقدم اليه وفود الأقوام المغلوبة في ذل و خشوع لتقديم الجزية. وأقام الملك الآشوري سنحاريب منحوتات بارزة على صخور نهر الكومل عند ممر باڤيان قرب قرية خنس، تمثل الملك واقفاً أمام الآلهة الآشورية. و يتكرر المشهد في أربعة مواكب منحوتة على صخور ((كهف هەلامەتا)) على سفح جبل جنوب مدينة دهوك.


ثور المجنح

وصل النحت الآشوري الى الذروة، بأقامة تماثيل ضخمة تمثل الملاك الحارس على هيئة ثيران مجنحة. و التماثيل بجسم ثور ورأس إنسان

وله جناحان و عملت له خمسة أرجل حتى يرى الناظر اليها خمسة أرجل بوضوح. وتم وضع الثور المجنح في مداخل القصور الملكية، لتضفي على من يدخل القصر الهيبة، فضلاً عن كونها ترمز الى قوة الدولة.

جـ- العمارة: سبقت الأشارة الى بناء المعابد و الزقورات في وادي الرافدين و أستخدام السكان اللبن و الأجر في بنائها و الأهتمام بتزينها و تجميلها. و تشير بقايا المعابد و القصور الى فن البناء لدى سكان وادي الرافدين.

كان عامة الناس يبنون بيوتهم من الطين و عادة تكون من حجرة صغيرة أو أكثر. وإستخدم القش و الخشب و الطين لتسقيفها. كان البناء في البداية على شكل كوخ مستطيل ثم إستخدمت طريقة السطح المستوي و إستخدمت الدعامات لأسناد السقف. ولكل بيت باب معمول من الخشب عادة مع وجود نوافذ صغيرة في الجدران لدخول الضوء. و البناء كان شرقياً حيث بنيت الغرف و المخازن لتجاور بعضها مع وجود فناء وسط تلك الغرف. وأخذ الناس المناخ بنظر الأعتبار أثناء بناء بيوتهم محاولين إتقاء حرارة الصيف و برد الشتاء.

بناء القصور: بنى الحكام و الأمراء و الملوك القصور التي أصبحت مراكز إدارية و سياسية، لذا إتسمت بكبر حجمها و وجود قاعات و غرف عديدة، محاطة بفناء واسع. وتم العثور في العصر السومري على قصور في أريدو وكيش و ماري.

ويمثل قصر نرام سين في تل براك (على نهر الخابور في سوريا) حصناً ملكياً، يشير الى مدى توسع سلطة الملك الأكدي و هيمنته على منطقة الشرق الأدنى ويبنى قصره هناك لجمع الضرائب، كما بنى الأكديون قصراً آخر في مدينة آشور. وتم الكشف عن قصر الملك اورنمو في مدينة اور حيث بلغت أبعاد قاعة العرش (٢٤×٤م). و يمثل قصر الملك (زمري لم) في ماري نموذجاً للقصور الواسعة إذ قدر الباحثون عدد غرفه بـ(٣٠٠) غرفة، ضمنت قاعة العرش و غرف

عديدة لسكنى الملك و عثر على غرفة خصصت للتدريس كما خصصت أجنحة من القصر لأستيعاب الموظفين و الأداريـين، وضـم القصـر المخـازن و العنـابر. وأقيم القصر على مساحة واسعة من الأرض وأحيط بسور ضخم مشيد باللبن.. يخترقـه بـاب واحـد. وتفـنن النحـاتون بزخرفـة جدرانـه وتزيينهـا بالتماثيـل و النقوش الفنيـة. تطـور بنـاء القصـور لـدى الآشـوريين وإسـتخدموا الحجـارة في بنائها. ففي مدينة آشـور تم العثـور علـى قصـر لملـك (أددنـراري الأول) وكـان يتألف من جناحين جناح لسكنى الأسرة الملكية و الجناح الثـاني كـان جناحـاً رسمياً لتسيير أمور الدولة، ويمثل قصر الملك (آشـور ناصـر بـال الثـاني) الـذي بناه في مدينة النمرود نموذجاً لبناء القصور الملكية، حيث جلـب البنـائين مـن منطقة بحيرة وان. وبنيت عدة قصور ملكية أخـرى، منهـا قصـر الملكسـرجون الثاني في خرسباد و القصور التي بناها سنحاريب و اسـرحدون وآشـور بانيبـال في نينوى.

و تشير الأعمال العمرانية التي قام بها الملك البابلي نبوخذنصر في مدينـة بابـل الى مدى تطور فن العمارة لدى سكان وادي الرافدين، لأن ماتبقى من مبـاني في مدينة بابل القديمة هـي مـن إنجـاز ذلـك الملـك الـذي بنـى عـدداً مـن المعابـد و القصور وأقام الجنائن المعلقة. ويمثـل بنـاء الأسـوار و القـلاع وعمـل البوابـات وإقامة التحصينات الدفاعية نموذجاً آخر لهندسة البناء في وادي الرافدين.

الاسئلة:

س١/ كيف نشأت أنظمة الحكم في جنوب العراق؟

س٢/ ماهي اسباب ظهور نظام الملك البديل؟

س٣/ تتبع مراحل تطور الكتابة المسمارية؟

س٤/ قارن بين القوانين السومرية والقوانين السامية؟

س٥/ ما العلاقة بين الدين والطبيعة والاعياد؟

س٦/ أكتب مقالا عن مدينة بابل.

المراجعالفصل الثاني:

١- طهباقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، (بغداد: ١٩٥٥).

٢- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ الحضاري، دار الكتب، (الموصل: ١٩٩٣).

٣- عامر سليمان وفاضل عبدالواحد، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، (بغداد: ١٩٨١).

٤- نخبة من الباحثين، حضارة العراق، (بغداد: ١٩٨٥).

٥- هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، (الموصل: ١٩٧٩).

٦- فوزي رشيد، الشرائع الصرافية القديمة، ط٢، (بغداد: ١٩٨٧).

الفصل الثالث

حضارة وادي النيل

تمهيد/ كانت الظروف البيئية ملائمة لاستقرار الانسان في وادي النيل وبناء الحضارة التي اعتمدت على الزراعة، بسبب خصوبة تربة الوادي ووفرة مياه نهر النيل. ونشأت الحضارة المصرية في جومن الاستقرار، بسبب إحاطة مصر بالصحاري والبحار فباتت بعيدة عن متناول الغزاة، كما أن فيضان نهر النيل المنتظم ومعرفة السكان بموعدة خلقت مزيداً من الاطمئنان لديهم، فضلا عن كون البيئة الطبيعية في مصر خالية من المفاجئات. لذا إطمأن السكان وعملوا بهدوء وثقة، عكس سكان وادي الرافدين الذين عاشوا في بيئة طبيعية واجتماعية غير مستقرة مليئة بالمفاجئات. وجعل كل ذلك إيمان المصريين القدماء بالألهة والحكام قوية وإنعكس ذلك الايمان على إهتمامهم بالحياة الاخرى وبناء القبور، حتى سميت الحضارة المصرية القديمة بحضارة الموتى. اما في وادي الرافدين فكان ثقة السكان بالالهة والحكام ضعيفة، لعجزهم عن حماية الناس من قسوة الطبيعة او من الغزو، لذا كان إهتمامهم بالحياة الاخرى قليلة وحاولوا أن يعيشوا حياتهم الدنيوية.

ونظراً لتشابه العديد من المظاهر الحضارية في وادي الرافدين ووادي النيل، لذا سيتم التطرق الى المظاهر التي برز فيها المصريون مع إجراء المقارنة بين مظاهر الحضارتين.

اولاً : نظام الحكم: مرت مصر بفترة طويلة وهي مقسمة الى ولايات او دويلات مدن وكان ثمة إنفصال بين سكان الصعيد وسكان الدلتا. وعندما تمكن الملك مينا من توحيد مصر في بداية الالف الثالث ق. م إدعى المقربين منه بأن توحيد مصر عمل خارج نطاق قدرة البشر ومن قام بذلك العمل هو إله، فسادت فكرة الوهية الملك وروج لها ونشرت بين السكان.

وراقت تلك الفكرة للملوك الذين حكموا بعد مينا وإحتفظوا بها فاصبح ملك مصر من وجهة النظر الرسمية إلها، تنفذ اوامره وكلمته تعد قانوناً ولا حاجة له الى إصدار القوانين، لذا لم تظهر القوانين المكتوبة في مصر وحكم الملك وفق العرف السائد وكانت السلطة الدينية والدنيوية بيد الملك. وثمة إشارات بان الملك المصري كان يعبد خاصة بعد موته. ولاهمية مركز الملك بنيت القبور الفخمة لدفن الملوك وتطورت الى أهرام. وكان يعاون الملك في إدارة الدولة الوزير،وعدد من الامراء والموظفين والكتبة في العاصمة ويركزون على جباية الضرائب وارسالها الى العاصمة.

ولم يتجرأ الناس الى ان ينظروا الى الملك، كما آنهم لم يخاطبوه بشكل مباشر من شدة تقديسهم له فكانوا يقولون سيادته، جلالته. وفي عصر المملكة الحديثة ظهر لقب فرعون ومعناه البيت العظيم أو القصر العظيم وأطلق اللقب على الملك ولا يمكن الوقوف ضد الملك او الثورة عليه، لانه من وجهة النظر الرسمية معصوم من الخطأ لانه إله. ومع أن فرعون كان إلهاً ومطلق السلطة الا انه كان حذراً في تصرفه وحاول تطبيق العدالة وعدم الاساءة الى الناس أو إيذائهم وكان عليه أن يتصرف بلباقة وأدب وكأنه إله وأن يترفع عن هفوات البشر وأدى ذلك النظام الى تقييد حريته وحسن سلوكه ومعاملة للناس.

ثانياً :المعتقدات الدينية :

عبد المصريون القوى المؤثرة في حياتهم وأولوا الشمس أهمية كبرى لانه كـان الاكثر تائيراً على نشـاطهم وعمليـة النمـو والأنبـات فاصـبح شـروق الشـمس او غروبه ظاهرة لازمت الانسان المصري أكثر من أي انسان آخـر بسـبب سمـائهم الصافية معظم أيام السنة.



وسمي إله الشمس بالآله رع في الدلتا وسمي في طيبـة بالالـه آمـون. وأوجـد فرعـون مصـر أخنـاتون فكـرة التوحيـد أو التفريـد و ذلـك بعبـادة إلـه واحـد سمـي أتـون ويمثـل جسـد الشـمس ويبـدو أنـه أخـذ فكـرة التوحيـد مـن الميتانيين بتأثير زوجته تيـدوخيبا (نفـرتيتي) وقـدس المصـريون نهـر النيـل و جعلـوه إلهـاً وربطوا سبب فيضانه المنتظم بأسطورة الألـه أوزيريس و زوجتـه إيـزيس و مفادهـا أن الألـه سث قتل اخاه اوزيريس، فبكـت عليـه زوجتـه الألهة إيزيس، فوقعت دموعها في النهر فتسـبب فيضانه ثم قام الآله حورس ابن اوزيرس بقتل عمه سـث، فتوقفـت امـه إيـزيس عـن البكـاء و ربطـوا ذلـك مـع إنتهـاء موسـم الفيضان.وعبد المصريون الأرض و جسدوه بالآله گب، كما جسدوا العديد مـن الحيوانات بهيئة ألآلهة مثل الثور و التمسـاح و الأسـد وابـن آوى وفـرس النهـر. وشيد المصريون عـدداً كـبيراً مـن المعابـد وجعلـوا فيهـا تماثيـل الآلهـة. وتعـد

الأهـرام ومـا ألحـق بهـا مـن معابـد جنائزيـة أمـاكن لعبـادة الملـوك المـوتى و الصلوات على أرواحهم.

وكان أوزيريس اله الموتى وبعد الموت يصبح الملك الميتـأوزيريس، وبـأمر مـن أوزيريس يتم محاسبة الموتى، وثمة ميزان لوزن أعمال العبد فمن كـان صـالحاً تذهب روحه الى عالم الخلـود أمـا المـذنبون فيـتم إفنـاء أرواحهـم. وكـان الألـه أنوبيس (إبن آوى) مسؤولاً عن يوم الحساب وضبط ميزان الموتى.

ثالثـاً: الكتابـة: إهتـدى المصـريون الى الكتابـة في أوائـل الألـف الثالـث ق.م وإستخدموا رموزاً كتابية كانـت عبـارة عـن صـورة مصـغرة للنباتـات و الطيـور المألوفة مع رموز أخرى، لذا أطلق العرب عليها لغة العصـافير ولم يتمكنـوا مـن قرائتهـا. وسمـى البـاحثون الكتابـة المصـرية بـالخط الهيروغليفـي أي الخـط المقدس. كتب المصريون على أوراق نبات الـبردي بعـد إعـدادها و الـتي يمكـن لفها و حفظها في أواني أو جرار. وعادة كانت تتم الكتابة بصـورة عموديـة علـى شـكل خطـوط متوازيـة وتقـرأ مـن الـيمين الى اليسـار في الوقـت الـذي كانـت المسمارية تكتب بصورة أفقية ومن اليسار الى اليمين.

طور الكهنة الخـط الهيروغليفـي وسمـوه بـالخط الهيراطيقـي. في حـين أسـتخدم عامة الشعب خطـأ بسـيطاً سمـي بـالخط الـديموطيقي. بقيـت بعـض البرديـات المدونة بالخط الهيروغليفي سالمة ومنها بردية تـورين الـتي دون عليهـا أسمـاء عدد كبير من ملوك مصر. وتمكن العـالم الفرنسـي فرانسواشـامبليون مـن حـل رموز الخط الهيروغليفي وقرائتها سنة ١٨٣٢م.

ومن الجدير بالذكر أن سكان بلاد الشام إستفادوا من الكتابة الهيروغليفية واشتقوا من الحروف الهجائية و نقلها الفينيقيون عن طريق التجارة الى بلاد الأغريق وعن طريقهم إنتشرت في أوروبا وتم نقلها الى الشرق بوساطة الآراميين.

رابعاً : الطب: تفوق المصريون على سكان وادي الرافدين في مجال الطب و سبب ذلك هو قيامهم بتشريح جثث الموتى وإخراج الأحشاء الداخلية منها و تحفيظها، فساعدهم ذلك على معرفة أعضاء جسم الأنسان ووظائفها وما يصيبها بها من أمراض. فقد عرفوا المعدة ووظيفة القلب وأوعيته وعرفوا بأنه القوة المحركة لنظام الجسم. كما عرفوا وظيفة المخ وتحكمه في الأعصاب وإرتباط الأعصاب به تحكمها في وظائف الأعضاء. وتم العثور على بردية إيبرس وهي محفوظة الآن في جامعة لايبزك التي تحتوي على مجموعة من الوصفات الطبية، ذكرت فيها العقاقير و مقدارها و كيفية إستعمالها، كما تحتفظ الجمعية التاريخية بنيويورك ببردية مصرية تحتوي على مسائل جراحية و منها تجبير الكسور.

خامساً : التحنيط: اعزائي الطلبة لابد أن سمع بعضكم عن اكتشاف المومياء المصرية في وسائل الاعلام بين فترة وأخرى. والمومياء عبارة عما تبقى من جسد الميت. فاذا كان الشخص المتوفي غنيا عكف الكهنة والاطباء على تحنيط جسمه وإستخدموا الوسائل الناجمة في ذلك فتبقى المومياء مدة تمتد آلاف السنين .

فقد عثر سنة ١٩٢٢ على قبر فرعون مصر (توت عنخ آمون) وكان تابوته مصنوعاً من الذهب وبداخله مومياؤه (جسمه المحنط). وأثار الاكتشاف آنذاك زوبعة أثرية مثيرة.

وقد يسأل الطالب ماهو التحنيط؟ وكيف عرف المصريون تحنيط جثة المتوفي؟ ما الغاية من التحنيط؟

التحنيط يعني المحافظة على جسم الميت من التلف. ويطلق على الجسم المحنط مصطلح (مومياء) ومعناه في اللغة الكوردية الشمع (موم = شمع) لانهم كانوا يستخدمون الشمع في سد فتحات الجسم بعد إزالة الأحشاء الداخلية.



تابوت توت عنخ امون من الذهب

وكان التحنيط على جسم الملك او الملكة يجري وفق الخطوات الاتية:

أ- يتم نقل الجثة الى المعبد الوادي القريب من الهرم المعد لدفنه بوساطة سفينة.

ب- غسل الجثة وتطهيرها ويستغرق وقتاً قصيراً.

جـ- تحنيطالجثة وكان يستغرق وقتاً طويلاً تصل الى (٧٢) يوماً، حيث يتم استخراج الاحشاء الداخلية عن طريق تشريح الجثة ويستخرج المخ عن طريق آنابيب خاصة ثم تعامل الجثة بالصودا ويوضع في ملح النيترون.

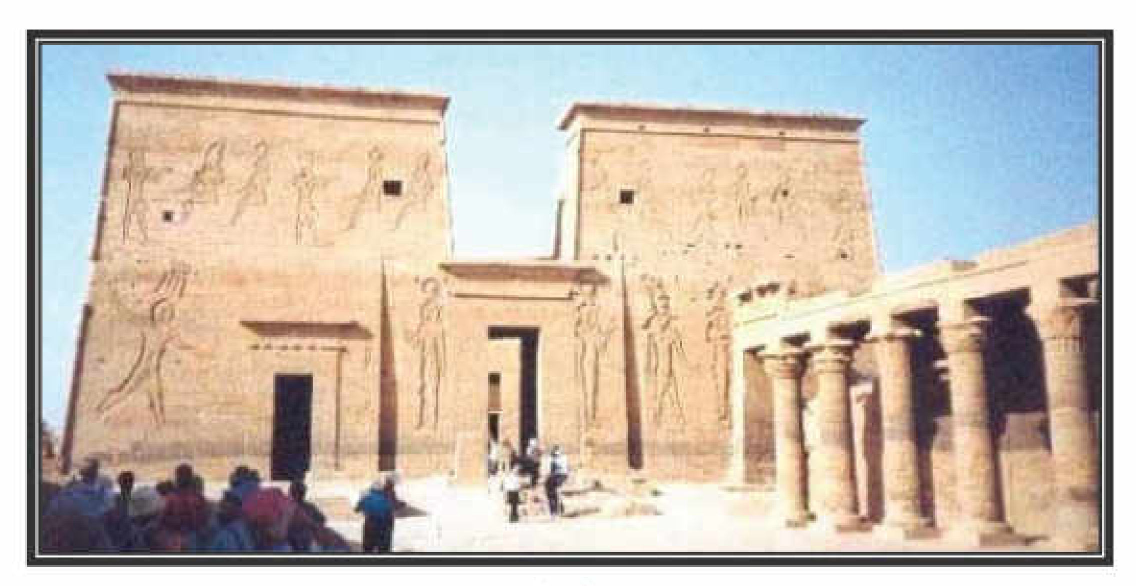
د- يستخرج الجسم من محلول الملح ويتم سد فتحاته باستخدام الشمع والقير.

هـ- فتح الفم وهو طقس ديني يقصد به تمكين الميت من الكلام مرة أخرى ويستمتع بالقرابين التي تقدم له.


صورة توضح تمثال رمسيس الثاني

سادساً: العمارة: تعد مصر أغنى دولة في العالم بآثارها، وساعدت بيئتها الجافة وإستخدامهم للحجارة على بقاء تلك الاثار. تظهر العمارة المصرية بجلاء في بناء المعابد والإهرام، فمن يزور منطقة الدير البحري والاقصر في صعيد مصر، يرى تلك الاثار الشاهقة. بني الدير البحري بالقرب من المعبد الذي أقامته الملكة المصرية حتشبسوت، حيث يمكن للزائر أن يرى بقايا الاعمدة والاروقة والقاعات لذلك المعبد وبالقرب منها تماثيل الالهة الضخمة ومن بينها تمثال رمسيس الثاني الذي ساهم في إعمار معبد الدير البحري.

ويعد معبد الكرنك في طيبة من أضخم المعابد التي بنيت حيث ساهم عدد من ملوك مصر في بنائه وتوسيعه. وترمز أعمدة المعبد الضخمة والتي لاتزال شامخة الى عظمة الحضارة المصرية ،ونقش على جدران معبد الكرنك الاعمال التي قام بها فراعنة مصر وعلاقاتهم السياسية مع الدول الاخرى اذ دون على جدرانها المعاهدة المصرية ـ الحيثية. والمعبد متحف طبيعي قائم بذاته.



معبد كرنك

الاهرام: أطلق المؤرخون علـى الفـترة الممتـدة بـين (٢٧٨٠ – ٢٢٧٠ ق. م) في مصر بعصر الاهرام لأن بناء الاهرامات فى هذه الفترة وصلت الى ذروتها ويجد الاهراماتالثلاثة الكبيرة في الجيزة غرب النيل وهي هرم خوفو وهرم خفرع وهـرم منكورع.

شاهد العديد منكم تلك الاهرامـات في التلفزيـون الـتي تحولـت الى قبلـة لعلمـاء الاثـار والسـواح علـى السـواء، لـذا مـن الضـروري أن تعـرف شـيئاً عـن بنـاء الاهرامات في مصر.

ظهر بناء الاهرام في مصر بصورة تدريجية،ففي البداية كـان المصـريون يبنـون مصطبة فوق قبور موتاهم من الملـوك والامـراء وترضـخبداخلها بعـض الاوانـي والادوات والحاجيات الخاصة بالملك الميت. وقـام الملـك زوسـر وهـو مـن ملـوك السلالة الثالثة ببناء هرم مدرج بنـاه لـه المعمـاري أمنحوتـب، ثـم تطـور بنـاء الاهرامات من هرم مدرج الى هرم صحيح في عهد السلالة الرابعة.



وكان البناء الهرمي يتكون من:

١- الهرم الذي يحيط به سور خارجي مشيد الآجر.

٢- معبد جنائزي امام الوجهة الشرقية للهرم.

٣- معبد امام المدخل الشمالي للهرم.

٤- هرم صغير يحيط به سورخاص خارج سور الهرم الرئيسي.

٥- معبد الوادي الذي يربطه طريق طويل بالهرم.

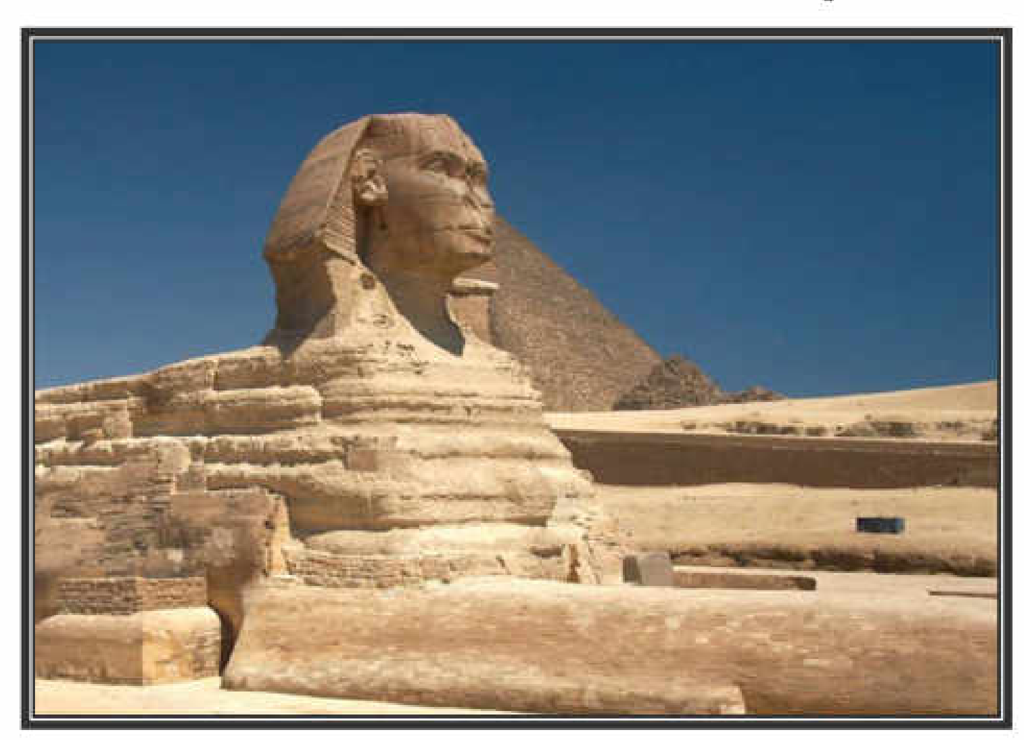
والهرم بناء صلب من الحجر مربع القاعدة هرمي الشكل،مشيد من الحجارة الضخمة وفي داخل الهرم يمتد ممر طويل يبدأ بالانحدار من الشمال وينتهي في الغرفة التي تقابله التي تنتهي به بدورها بممرين نحو اليمين واليسار وينتهي ممر اليسار الى غرفة الدفن والسرداب الذي يحتوى على الكوة الخاصة بالتماثيل.

ويعد الهرم الذي بناه الملك خوفو في الجيزة أكبر الاهرامات وأعلاها إستخدم في بنائه حجارة ضخمة بلغ معدل وزن الحجر الواحد (٢,٥ طن) وقدر عددها بـ

(٢,٣) مليون حجرة، فيما بلغ طول ضلع قاعدة الهرم نحو (٧٥٥) قدماً وارتفاعه نحو (٥٠٠) قدم. وإمتد يد الانسان المخربة الى الهرم فازال بعض مجارتها من القمة ومن الجوانب.

وبالقرب من أهرام الجيزة أقام الملك خفرع تمثالاً ضخما يمثله ويسمي أبو الهول والتمثال بجسم آسد رابض ورآس إنسان وعلى راسه اللباس الملكي الرسمي بلغ علو وجه التمثال (٦٥) قدماً وطول جسمه (١٨٧) قدماً وعرض وجه (١٤) قدماً.

ويمثل بناء آهرام الجيزة وصول سلطة ملوك مصر الى الذروة التي بدأت تضعف في عهد السلالة الخامسة ولم يستطع ملوك السلالة الخامسة والسادسة والسابعة ومن تلاهم في الحكم سوى بناء أهرامات صغيرة لا تختلف عن أهرام النبلاء مما يدل على تلاشي السلطة السياسية للملك.



أبو هول

الفصل الثالث

الأسئلة :

س١- هل كان جميع المصريين يعتقدون بالوهية الملك؟ بين رأيك

س٢- قارن بين الكتابة الهيروغليفية و الكتابة المسمارية.

س٣- تسمى الحضارة المصرية بحضارة الموتى. علل ذلك.

س٤- ماذا نستنتج من بناء الأهرامات الكبيرة في الجيزة؟

س٥- ما أهمية معبد الكرنك؟

المراجع:

١- أحمد فخري، الأهرامات المصرية، (القاهرة: ١٩٣٦)

٢- جودت بوتيرو و آخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان ،(الموصل: ١٩٨٦).

٣- جيمس هنري برستد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة زكي سوسن، (القاهرة: ١٩٦١).

٤- جيمس هنري برستد، إنتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، (١٩٦٩).

٥- رشيد الناضوري، التطور التاريخي للفكر الديني،(بيروت ١٩٧٦).

٦- ليونارد كوتريل، زوجات الفراعنة، ترجمة فيليب عطاالله،(بيروت: ١٩٦٧).

٧- محرم كامل، تاريخ الفن المصري، (القاهرة: ١٩٣٧).

٨- ولسن،الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، (١٩٥١).

الفصل الرابع/ حضارة الأغريق

تمهيد :

تقع بلاد اليونان في جنوب قارة أوروبا و تشغل الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان، لتمتد جنوباً داخل البحر المتوسط، تتخللها الخلجان، لتشكل أرخبيلا (مجموعة من الجزر) جميلاً كما تمتدد الجبال داخل البلاد و تنتشر السهول. وتتمتع البلاد بمناخ البحر المتوسط المعتدل. وساعد موقعها الجغرافي بين الشرق و الغرب على إنفتاح سكانها على حضارة الشرق و الأتصال مع الغرب، كما ساعد طبيعة بلاد اليونان الجغرافية على نشوء دويلات المدن مثل أثيناوأسبارطة و ميگارا و طيبة.

تاثرت حضارة الاغريق بالحضارات التي نشأت قرب بلاد اليونان ومنها الحضارة الأيجية (نسبة الى جزر بحر إيجة) التي تسمى ايضاً بالحضارة المبنوية أو كريتية(جزيرة كريت)والحضارة المايسينية (نسبة الى جزيرة مايسينيا). وبحكم موقع بلادهم وطبيعتها الجغرافية فانهم ركبوا البحر و إنتشروا على سواحل بحر إيجة وبحر مرمرة و البحر الأسود و السواحل الأيطالية والساحل الأفريقي على البحر المتوسط، وأقاموا مراكز تجارية على تلك السواحل وفي عدد من جزر بحر إيجة، أستقر فيها السكان و نقلوا إليها معالم حضارتهم.

أبرز المظاهر الحضارية :

أولاً : نظام الحكم:

أ- النظام الأوليكاركي:-ويعني (حكم الاقلية) ساد في مدينة أسبارطة نوع من نظام الحكم، كان يجمع بين الحكم المطلق و الديمقراطية، إذكان على رأس الحكومة ملكان إثنان و مجلس النبلاء الذي كان يتألف من (٢٨) عضواً والجمعية العامة التي تشمل جميعاالاسبارطيين الذين تزيد أعمارهم عن ثلاثين سنة. وتجتمع الجمعية العامة مرة كل شهر، الا أنه لم يكن لها حق إقتراح القوانين أو المناقشة. وينتخب الشعب خمسة ممثلين عنه لمدة سنة و مهمتهم هي مراقبة تطبيق القانون.

ولكون سلطة الملك واسعة وبيده حق إعلان الحرب أو عقد الصلح، فان النظام في إسبارطة لم يصل الى مستوى الديمقراطية. ولعل ذلك يرجع الى إعتماد اقتصادها على الزراعة أكثر من التجارة، فاصبح لمالكي الارض اليد الطولى في إدارة الدولة، لذا سمي نظام الحكم في اسبارطةبسلطة الاقلية او الاوليكاركية.

وتتجلى طبيعة النظام الاوليكاركي في التربية الاسبارطية لا يقهرون، لذا كان يتم التخلص من الاطفال الضعفاء. وكان تربية الاطفال الذكور تبدأ في سن السابعة وتستمر حتى سن العشرين، ثم يلتحقون بالجيش ويتدربون على أنواع الصعوبات حتى سن الثلاثين يصبح الشخص بعد ذلك مواطناً، يتمتع بحقوق المواطنة، لكنه يبقى خاضعاً للعقوبات حتى سن الستين.

ب- النظام الديمقراطي: تعد مدينة أثينا منبع الديمقراطية في تاريخ البشرية. تم التمهيد لتطبيق النطام الديمقراطي باصدار مجموعة من الاصلاحات والقوانين التي قلص صلاحيات الملك الى حد كبير. فمنذ القرن الثامن ق. محدد فترة

حكم الملك بـ(عشرة سنوات)فقط، ولكن في القرن السابع (في حدود سنة ٦٨٠ ق. م) اصبح سنة واحدة، وتم إختيار مجلس لتشريع القوانين.

وساعدت إصلاحات صولون على تطور الديمقراطية التي منحت الأثرياء سلطة كبيرة كما اعترفت بالحقوق السياسية للطبقة الفقيرة التي تعد خطوة كبيرة نحو الأمام، لذا يلقب صولون (أبو الديمقراطية). وبسبب الحروب وما صاحبها من تغييرات إجتماعية واقتصادية، تغير النظام السياسي أيضاً،حيث إتخذ كليسثينس إجراءات لاصلاح النظام السياسي في اثينا، فاصدر تشريعاته سنة ٥٠٧ ق. م وأصبح بموجب القانون الجديد حق المواطن وراثياً وأسس جمعية وطنية مكونة من ٥٠٠ عضواً وكان من حق كل المواطن آن يصبح عضواً فيها مرتين بين سن الثلاثين والستين.

أصبح (البرلمان) الذي سمي بـ (الاكليزيا) خلال القرن الخامس ق. م،جميعة يحق لها التدخل لتقرير المستقبل السياسي لاثينا، فكان لها حق. عقد التحالفات والمعاهدات وتعيين السفراء والتصويت على الموازنة المالية. ومجمل القول، سيطرت الجمعية على السلطة التشريعية والتنفيذية في الدولة، كما سيطرت أيضا على السلطة القضائية.

ثانياً : الديانة :قدس الاغريق عدداً كبيراً من الآلهةشأنهم شأن سكان وادي الرافدين وكان الاله زيوس رئيس الآلهة وسيد البشر من وجهة نظرهم، موطنه جبل أولمپيوس وقرينته هي الألهة هيرا التي تشرف على حياة النساء حسب اعتقادهم وثمة آلهة اخرى مثل الآلهة أثينا إبنة زيوس والألهه أپولو إله الضوء والشباب والموسيقى والتكفير عن الذنوب والتطهير وإقترن إسمه بالشمس واخته هي الآلهة أرتميس (ديانا) وتقوم بمهام أخيها ولكنها مسؤولة عن النساء فقط.

ومن الالهة الاخرى الاله نبتونوس اله البحر و الينابيع ، وافروردیتس (إله الحرب والجمال) ،والاله باخوس إله الثمر والخضراوات ورب المسرح.
وبنى الاغريق لالهتهم المعابد وقدموا لها القرابين والهدايا. وامتلك المعبد الاراضي الزراعية والاموال والعبيد واشرف على إدارة المعابد الدولة عن طريق الكهنة الذين كلفوا باداء الطقوس الدينية ورعاية الاعياد.

ثالثاً : الألعاب الأولمبية : تعد من الاعياد المهمة لدى الاغريق وهي نموذج للاحتفالات الدينية والقومية، كرس عيد الالعابالاولمبية تقديس الاله زيوس. ويقام الاحتفال بالعيد بعد الانقلاب الصيفي وتعلن أثناء ذلك هدنة مقدسة في جميع أنحاء اليونان، كي يستطيع المتبارزون والزائرون حضور الاحتفال والعودة الى بلدانهم سالمين. وعلى الرغم من أن العيد خصص للألعاب فانه كان فرصة لمن له نتاج آدبي أو علمي لنشره بين الناس أو يقوم الخطباء بالقاء أفكارهم. ويقام الاحتفال في مدينة أليس الواقعة على سفح جبل أولمبيوس كل اربع سنوات، وأول إحتفال اولمبي كان في سنة ٧٧٦ ق. م.
كان برنامج الالعاب في البداية يوماً واحداً، أشرف عليها عشرة حكام ثم مدد فاصبح خمسة أيام. وأهم الألعاب التي مارسوها هو القفز الطويل ورمي الرمح والقرص والركض والمصارعة والملاكمة وسباق الخيل.
ويعلن المنادي بعد إنتهاء الالعاب إسم الفائز وإسم مدينته. وكان الحكام يتوجون الفائز بأكليل من أغصان الزيتون. وعند عودة الفائز الى مدينة يستقبل بالغناء والرقص ويكرم تكريماً مادياً.

رابعاً : الحياة الفكرية :١- الادب :

أ- الملاحم : وصف الاغريق بانهم ذو ذوق أدبي رفيع المستوى، ونظموا قصائد طويلة تتغنى بابطال الاغريق ونسبت الى آلهتها الخوارق، منظمين بذلك ملاحم شعرية جميلة تجمع بين الملحمة والاسطورة. تعد الالياذة والأوديسة من أهمها، تنسب الالياذة والاوديسة الى شاعر ضرير يدعى هوميروس الذي عاش في القرن التاسع ق. م ،تقدم الالياذة صورة واضحة عن الحياة الدينية لدى الاغريق حتى اصبحت كتابهم المقدس ، كما وتقدم أيضاً صورة للحياة الاجتماعية وا لاقتصادية في بلاد اليونان خلال القرن الثاني عشر ق. م، مما يدل على ان هوميروس إستقى معلوماته في نظم الالياذة عن من سبقه من الشعراء. وأشارت الألياذة أيضا الى إتحاد المدن اليونانية وغزوها للساحل الشرقي من مضيق الدردنيل الذي سمي طروادة (Troy)، كما تتحدث عن أسلحة ذلك الزمان عندما تصف القتال الدائرين بطل الالياذة أخيلس وبطل طروادة هيكتور.

وتنسب ملحمة الاوديسة أيضا الى هوميروس، التي تتحدث عن أوديسيوس، آحد الابطال العائدين من حرب طروادة الى مدينة أثينا، باسلوب أدبي رقيق، بعيداً عن القتال والعنف، وما صادفه ذلك البطل في طريق العودة من مصاعب في البحر مثل تحطم سفينته وكيف جاء الاله زيوس وساعده ومعاناة زوجته في غيابه.

ب- الأدب المسرحي: برز الاغريق في الاعمال الدرامية وكان تاليف النصوص المسرحية جزءاً من الاحتفالات الدينية .وكانت المسرحيات على نوعين:

اولاً: التراجيديا (المأساة): كانت يتم تاليف نص مسرحي على يد احد الكتاب ثم تمثل في إحتفال كبير مصحوباً بالموسيقى أثناء الممثلين لأدوارهم ومعه الرقص المقدس.

وحاول مؤلف الدراما ان يعكس عقائد الشعب ورغباته وحاجاتهم وآمالهم على لسان الممثلين وحركاتهم.

ومن – أشهر مؤلفي التراجيديا :إيسكليوس(٥٢٥– ٤٥٥ق.م): الذي ركز في كتاباته المسرحية على القصائد الدينية، ثم سفولكس (٤٩٦– ٤٠٦ق.م) الذي حلل النفس البشرية وحصل على عدة جوائز، من رواياته المشهورة أوديب. وبرز في مجال المأساة أيضاً الشاعر يوريبدز (٤٨٠– ٤٠٦ق.م) و ركز هو الآخر على معرفة النفس البشرية، بتأثير الفلسفة اليونانية.

ثانياً: الكوميديا: (الملهاة): وهي رواية مسرحية إنتقادية إتخذت أسلوب السخرية، بهدف التسلية و المتعة. أنتقد مؤلفو الكوميديا الشخصيات و الأفكار السياسية و الفلسفية. ومن أشهر شعراء الكوميديا أرستوفانيس (٤٤٥– ٣٨٨ق.م) الذي ألف أحد عشر رواية هزلية.

١- التاريخ: بدأ تدوين التاريخ لدى الأغريق بشكل منظم على يد هيرودوتس (٤٨٥– ٤٢٥ق.م)، لذا لقب (أبو التاريخ). طاف هيرودوتس في منطقة الشرق الأدنى، فزار مصر و إيران و آسيا الصغرى و مناطق أخرى وألف كتابا عاماً في التاريخ وقسمه الى تسعة أجزاء، خصص كل جزء لقسم من العالم المعروف لديه وأطلق هيرودوتس على عمله إسم هستوريا Historia ويعني حرفياً

التحري. مزج هيرودوتس في تاريخه بين الحقيقة و الخيال حيث قام برواية أخبار غريبة عن أمور لاتتفق والواقع ،وهو خير من كتب عن الميديين.

وسبقت الأشارة الى زينفون (٤٣٠- ٣٥٤ق.م) وكتابه آناباسيس (نحو الشمال) و كيفية إنسحاب المرتزقة الأغريق من بلاد بابل الى بلادهم سالكين طريق وادي نهر دجلة ومرو ببلاد الكاردوخيين (كوردستان) سنة ٤٠١ق.م ومؤلفات زينفون أكثر دقة من واقعية من تاريخ هيرودوتس إلا إنها كانت أقل مستوى منه في الجانب الفني، لأنه كتب بأسلوب عادي حمل معه كثرة التكرار.

٤- الفلسفة :الفلسفة والعلم مترابطان وهما من نتاج الفكر وكانا يعنيان شيئاً واحداً لدى الأغريق، بمعنى آخر كان الفلاسفة الاغريق يبحثون عن الظواهر الطبيعية شانها شأن العلم. حاول المفكرون الاغريق أن يقدمها تغيراً منطقياً للكون والعالم المادي وللانسان باعتباره مخلوق ذي جسد وفكر وشخصية وتفسير القوانين التي تنظم سلوك الانسان. مرت الفلسفة اليونانية بثلاث مراحل هي:

أ- مرحلة البحث عن الطبيعة وأصل الكون حيث بحث الفلاسفة عن العناصر الاتية: الهواء، الماء، التراب، النار. ومن فلاسفة تلك المرحلة طاليس وفيثاغورس.

ب- مرحلة البحث عن الانسان وسلوكه والاخلاق والسياسة ومن فلاسفة تلك المرحلة السفسطائيون (الوصول الى الحقيقة عن طريق الجدل).

جـ- مرحلة البحث العلمي المنظم وقيام المدارس الفلسفية ومن اشهر فلاسفتها أفلاطون وأرسطو

ومن أبرز فلاسفة الاغريق:

سقراط (Socrates ٤٧٠ - ٣٩٩ ق. م):

من سكان أثينا، لم يدون تعاليمه ومبادئه اذ وصلت أفكاره إلينا عن طريق تلميذه أفلاطون أشار سقراط بان مهمة الفلسفة الأساسية دراسة الانسان وما يتصل به، فرفع شعار: (أعرف نفسك).

واعتقد سقراط بان الغرض من وجود البشر فهو تحقيق السعادة التي يمكن الوصول إليها من طريق التمسك بالفضائل مثل الحكمة والشجاحة والعدل والصراحة والنزاهة والصداقة المخلصة. ركز سقراط على العقل في إدراك الأشياء. إتهم المحافظون سقراط بافساد عقول شباب أثينا وحكم عليه بالموت وكان بأمكانه الهرب إلا انه تجرع السم إحتراماً لقوانين أثينا.

أفلاطون Ploto(٤٢٧ - ٣٤٧ ق. م):

عاش في أثينا، تتلمذ على يد سقراط وأنشأ مدرسة في أثينا عرفت بالأكاديمية دَرّس فيها طلابه. دون تعاليم سقراط وكتب محاوراته الفلسفية عن الكون وأعضاء جسم الانسان والشيخوخة وتوج جهوده الفلسفية بتاليف كتاب في السياسة سماه الجمهورية، يرى فيه بان خير نظام للحكم هو أن يتولى الفلاسفة إدارة الدولة.

أرسطو Arstotie (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م):

ولد في شمال اليونان، والتحق في شبابه باكاديمية أفلاطون ولازم استاذه عشرين سنة، سافر بعد ذلك الى مكدونيا سنة ٣٤٢ ق. م ليشرف على تربية ابن ملكها فيليب وهو الاسكندر المكدونى، ثم عاد الى أثينا وأسس مدرسة سماها

(لوسيوم). ألف أرسطو كتاب الطبيعية (الفيزياء) وله كتاب في الاخلاق ركز فيه على الخير والصلاح وله كتاب في السياسة بحث فيه عن النظام الامثل للدولة وكتاباً أخر سماه الجمال وكتب عدة مقالات عن علوم الحياة. ونظراً لكون ارسطو واضع اسس العديد من العلوم، لذا لقب بالمعلم الاول، لانه فضلا عن مؤلفاته السابقة وضع أسس علم المنطق (فن التفكير الصحيح) ووضع طريقة التفكير العلمي السليم.

الفصل الرابع

الأسئلة:

س١/ بين أثر جغرافية اليونان على حضارته.

س٢/ تتبع ظهور النظام الديمقراطي في أثينا.

س٣/ كيف ظهرت الألعاب الأولمبية؟ ما أهميتها.

س٤/ ناقش العبارة الآتية: يعد أرسطو المعلم الأول.

المراجع:

١- بترى أ، مدخل الى تاريخ الاغريق وأدبهم واثارهم، ترجمة بوئيل يوسف عزيز، (الموصل: ١٩٧٧).

٢- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، (بغداد : ١٩٥٦).

٣- عادل نجم عبود وعبدالمنعم رشاد، اليونان و الرومان دراسة في التاريخ و الحضارة، دار الكتب للطباعة و النشر، (الموصل: ١٩٩٣)

٤- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري،(بيروت: ١٩٧٩).

الفصل الخامس

حضارة الرومان

تمهيد: إقتبس الرومان الحضارة الأغريقية وأسلوب حياتهم، لذا إعتاد دارسو الحضارات لاسيما دارسو الأدب على تسمية الحضارتين بالعصر الكلاسيكي. لم يعد الرومان أهمية كبيرة للفلسفة وركزوا إهتمامهم على التشريعات و القانون و أساليب الأدارة و التنظيمات العسكرية وطرق المواصلات و البناء.

أولاً: القانون الروماني: وهو من أبرز منجزاتهم الحضارية وأهم شيء لديهم قدموه للبشرية. طور الرومان الشرائع اليونانية وأضافوا إليها الكثير، حتى وصلت الى مستوى النضج في عهد الأمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م).

تم تدوين مجموعة من القوانين السائدة لدى الرومان من قبل لجنة قانونية في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م وعرف ذلك القانون بالألواح الأثناعشر الشهيرة الذي يعرف بالقانون الروماني القديم دون ذلك القانون على إثني عشر لوحاً من البرونز و عرضت في مدينة روما العاصمة. و القانون الروماني القديم هو قانون مدني لاعلاقة له بالدين. يضاف الى ذلك، قرارات مجلس الشيوخ و قرارات الهيئات التشريعية و المراسيم التي أصدرها الحكام التي أصبحت قانوناً.

ميّز الرومان بين ثلاثة أنواع من القوانين:

أ- القانون المدني: وطبق على الرومان أو من له صفة المواطنة وهم سكان إيطاليا وغرب أوروبا و اليونان.

ثانياً: قانون الشعوب:طبق ذلك القانون في الأقاليم التابعة للأمبراطورية الرومانية في آسيا وأفريقيا. وأثر قانون الشعوب بمرور الوقت على القانون الروماني المدني ومذهبه.

ثالثاً: القانون الطبيعي:وهو القانون الذي تخضع له جميع الكائنات الحية. ركز ذلك القانون على طبيعة العلاقات و الروابط الأجتماعية. طبق القضاة تلك القوانين في المحاكم الرومانية وإتخذت الأجراءات اللازمة لتنظيم الدعاوي المدنية إستناداً الى الأعراف القانونية المعتادة ومنها ذهاب المدعي الى المحاكم وتقديمه شكوى ضد المدعي عليه. وكانت المحكمة تبحث عن الادلة الجنائية وبعد تثبيت التهمة على المدعي عليه يصبح مذنباً ويصدر القاضي حكمة إستناداً الى القانون.

قانون جستينان: أمر الامبراطور البيزنطي جستنيان بتأليف لجنة من فقهاء القانون وكلفها بدراسة القانون الروماني بعد جمعه وإضافة ماصدر من تشريعات جديدة من قبل الاباطرة الرومان الى القوانين السابقة. وبعد أن أنجزت اللجنة مهمتها أصدرت الموسوعة القانونية الرومانية سنة ٥٣٣م. خلد جهد الفقهاء الرومان إسم الامبراطور وأثنى عليه المؤرخون لانه حفظ القانون الروماني من الضياع.

تتكون موسوعة القانون الروماني من عدة أجزاء وقسم كل جزء الى عدة أبواب قانونية وقسمت الابواب الى فقرات. ووضعت اللجنة كتاباً سماه كتاب النظم وهو كتاب مدرسي وضعوا فيه مباديء القانون الروماني.

أصدر جستينان مرسوماً في سنة ٥٣٣م أمرفيه بتنفيذ القانون الجديد فاخذ القانون مجراه في المناطق الخاضعة لنفوذه وسار من حكم بعده من الاباطرة على نهجه القانوني. ولاهمية قانون جستنيان تم ترجمة الى معظم لغات العالم المعروفة بما فيها اللغة العربية وأصبح مصدراً لقوانين ودساتير دول العالم المتمدن.

ويمكن لمن يتخصص في دراسة القانون من طلبتنا الاعزاء أن يرى بوضوح تأثير القانون الروماني على القانون الفرنسي و الانكليزي ودستور الولايات المتحدة الأمريكية، لذا أصبح القانون الروماني مادة اساسية يدرسها طلبة القانون في مختلف جامعات العالم.

ثانياً : العمارة: إتسم البناء الروماني بالمتانة والضخامة، لاستخدامهم الحجر والمواد الخراسانية في البناء، لذا لا تزال العديد من اعمالهم البنائية باقية في إيطاليا وسوريا وليبيا وكوردستان ومناطق أخرى خضعت للسيادة الرومانية.

إستخدم الرومان في اعمالهم العمرانية نظام القبوات والعقود والاقواس في تسقيف المباني وإقامة الجسور وإستفادوا من العقد النصف الدائري في بناء قناطر تجهيز المياه، كما استخدموا المرمر في تغطية أرضية المباني والجدران. وفضلا عن الاقواس والعقود، كانت مبانيهم متكونة من أعمدة ضخمة.

أقام الرومان مباني فخمة سميت فوروم Forumوهو بناء عام إستخدم سوقاً ومحـلاً لعقـد الاجتماعـات العامـة والنشـاطات الرياضـية ومـن اهمهـا فـوروم الامبراطور تراجان الذي اقامة في مدينة روما.

وبنى الرومان معابد ضخمة إستندت على اعمدة كبيرة وبعضـها كـان مسـتديراً كما بنوا المسارح والحمامات. وبعد مسرح الكالسيوم في روما من أشهرها إنتقل تأثير العمارة الرومانية الى معظم أرجاء العالم المتمدن لاسيما في اقامـة القنـاطر والجسور على مجاري الميا ه وكذلك بنـاء القصـور والمعابـد وعلـى العمـوم إن استخدام الاقواس والعقود في البناء وهو تأثير روماني.

الفصل الخامس

الاسئلة :

س١/ كان الرومان مقلدين لحضارة الاغريق. علل ذلك.

س٢/ ما علاقة الامبراطور جستينان بالقانون الروماني؟

س٣/ ناقش العبارة الاتية: تفوق الرومان على الاغريق في الجانب المعماري.

المراجع

١- بترى أ، مدخل الى تاريخ الرومان وأدبهم وأثارهم، ترجمة يوئتل يوسف عزيز، (الموصل: ١٩٧٧).

٢- طهباقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، (بغداد: ١٩٥٦)، حـ٢.

٣- عادل نجم عيو وعبد المنعم رشاد، اليونان والرومان - دراسة في التاريخ والحضارة، دار الكتب للطباعة، (الموصل: ١٩٩٣).

٤- ميشيل ڤيليه، القانون الروماني، ترجمة هاشم الحافظ، مطبعة الارشاد، (بغداد: ١٩٦٤).

الفصل السادس:

حضارة إيران

اولاً : العيلاميون : إستقر العيلاميون في جنوب غرب إيران. ويسمى الاقليم الذي إستقروا فيه بـ(خوزستان او الأهوان)، كما إنهم إنتشروا شمالا باتجاه جبال بختياري وحتى حدود لورستان. سمى السومريون بلادهم (نم: NIM) وتعني الاراضي المرتفعة أو الهضبة. أسس العيلاميون عدة مراكز حضارية من أبرزها مدينة شوشيانا (سوسه) في الجنوب ومدن أنشان وآوان باتجاه الشمال.

إقتبس العيلاميون الحضارة السومرية وطوروا مظاهرها بالشكل الذي يلائمهم، كما أنهم شاركوا في أحداث بلاد وادي الرافدين بحكم الجيرة، بعد أن تعرضت بلادهم لهجمات الملوك الاكديين وملوك سلالة اور الثالثة، ففي حدود سنة ٢٠٠٤ ق. م إحتلوا مدينة أور ونهبوها وقضوا على حكم سلالة اور الثالثة ، كما أنهم قضوا على الحكم الكاشي ونهبوا بلاد بابل في حدود سنة ١١٦١ ق. م وكان من جملة غنائمهم المسلة التي كتب عليها قانون حمورابي التي تم العثور عليها سنة ١٩٠١م في مدينة سوسه.

إستخدم العيلاميون الكتابة المسمارية وطوروها واختصروا علاماتها لكي تصبح ملائمة للتدوين بلغتهم. وكانت ديانتهم لا تختلف كثيراً عن ديانة سكان وادي الرافدين حيث عبدوا عدداً من الالهة من بينها الاله خومبان إله السماء، والاله خوتران، والاله أنشوشينال إله مدينة سوسه ووضع تمثاله في معبدها الرئيسي. تعرضت بلاد عيلام لهجمات الدولة الاشورية واحتل الجيش الاشوري عاصمتهم سوسه ودمروها وقاموا بنهب قصورها ومعابدها منهياً بذلك الكيان السياسي العيلاميين.

ثانياً: الدولة الاخمينية (٥٥٩ - ٣٣١ ق. م):

نجح الملك كورش الثاني في تأسيس هذه الدولة ونسبت الدولة الى جد الاسرة الحاكمة أخمينوس سيطر كورش على بلاد فارس وميديا واقاليم إيران الاخرى كما إحتل بلاد بابل واضعاً اسس الدولة. وتمكن خلفاؤه من توسيع حدود الدولة وضموا اليها بلاد الأناضول وبلاد الشام ومصر وعبروا الى اوربا وضموا المدن اليونانية لنفوذهم وفتحوا بذلك باباً لصراع عسكري طويل بين الفرس والاغريق او ما يعرف في التاريخ ب(الحروب الفارسية اليونانية) وما أعقبها من غزو الاسكندر المكدوني للشرق وقيام الحروب الفارسية الرومانية وقد استمرت تلك الحروب بصورة متقطعة لفترة زادت عن ألف سنة.

وأبرز المظاهر الحضارية في العهد الاخميني:

أ- الديانة: عبد الفرس آلهة تمثل قوى الطبيعة مثل الاله ميثرا إله الشمس، والاله ماه اله القمر واله آتار إله النار، والألهة آناهيتا (عشتار) إلهة الخصب والانتاج. وكان للمجوس (رجال الدين الايرانيين) دور بارز في المجتمع ويشرفون على أداء الطقوس الدينية ولهم مكانتهم العالية بين الناس.

وإتخذ الملك الاخميني دارا الاول الزرادشتية ديناً رسمياً للدولة ، وأراد الملوك الاخمينيون أن يجعلوا من تلك الديانة وسيلة لتوحيد شعوب الامبراطورية أو التقارب بينهم على الاقل. وفي الوقت نفسه تركوا الناس أحراراً في مجال العقائد حيث أستمر عبادة الالهة الاخرى الى جانب الأله آهورامزدا. وأقام الملوك الاخمينيون عدداً من المعابد الزرادشتية في مدن بلخ وبزركادهو برسيبوليس.

ب- الادارة: أتبـع الملـوك الاخمينيـون اسـلوب الادارة اللامركزيـة وقسـموا إمبراطوريتهم الى أكثر من عشرين إقليماً وكان يدير شؤن الأقليم حاكم فارسـي لقب ب (سـتراب) وهـو مسـؤول عـن جمـع الضـرائب و تثبيـت نفـوذ الدولـة في التعليم. وبغية ربط الأقاليم بالعاصمة نظـم الأخمينيـون البريـد وإهتمـوا بطـرق النقل وتم وضع محطات بريدية كان يتم فيها تبديل خيول البريد بغيـة إيصـال الأوامر و المكاتبات الملكية من والي حكام المقاطعات.

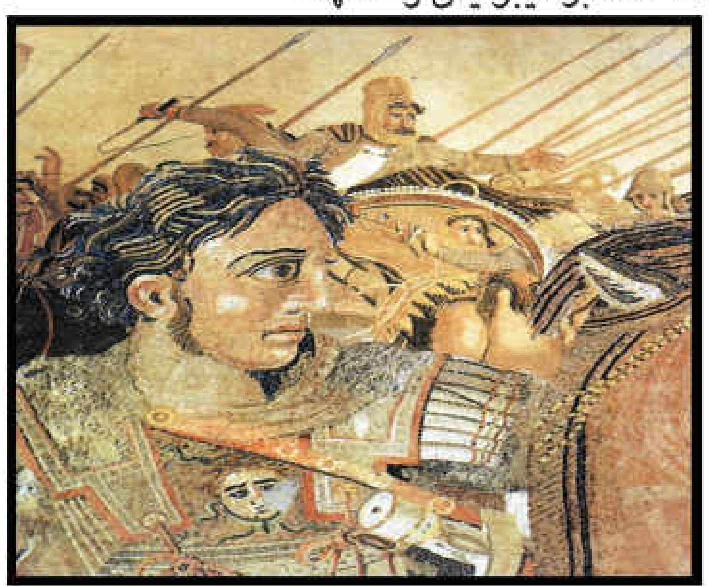
وكان المركز الأداري الرئيسي في العاصمة و يتمثل في قصر الملك. وإتخذ الملـك كورش الثاني في بداية حكمه مدينة أكبتانا عاصمة للدولة ثم قـام ببنـاء مدينـة بزركـاده في إقليـم فـارس (تقـع بـالقرب مـن مشـهدي مرغـاب) ولاتـزال أعمـدة معابدها و بقايا قصـورها شاخصـة. وعنـدما إنتقـل الحكـم الى الملـك دارا الأول بنى عاصمة جديدة هي مدينة بريسـبوليس (تخـتي جهمشـيد) قـرب بزركـاده، حيث أقام فيهـا القصـور و المعابـد وأصـبحت عاصـمة للدولـة. وتفـنن الملـوك الأخمينيون في بناء القصور وتزيينها عاشوا حياة البذخ و الترف.

جـ- الثقافة: إستخدم الأخمينيون الخـط الأرامـي ودونـوا بهـا اللغـة الفارسـية القديمة كما أستمر التدوين باللغة الأكدية و اللغة العيلامية. ويعد النص الكتابي الـذي نقشـه الملـك دارا الأول علـى جبـل بيسـتون قـرب كرماشـان(في شـرق كوردسـتان)مـن النصـوص المهمـة حيـث كتـب باللغـات الفارسـية و الأكديـة و العيلامية، إذا أصبح ذلك النص وسيلة لتحليل رموز الخط المسـماري مـن قبـل الباحثين في القرن التاسـع عشـر. وقـام البـاحثون بقـراءة الـنص الفارسـي أولاً وقارنوا بين حروفه و العلامـات المسـمارية فعرفـوا أصـوات عـدد مـن العلامـات

المسمارية و بمقارنته مع نصوص أخرى وضع الباحثون أسساً لتحليل الكتابة المسمارية ونجحوا في مسعاهم.

ثالثاً : الحضارة الهلنستية :

سقطت الدولة الأخمينية على يد الأسكندر المقدوني الذي شن هجوماً على الشرق و إنتصر على الملك الفارسي دارا الثالث للفترة بين (٣٣٣-٣٣١ق.م) وإحتل بلاد الشام ومصر، وزحف بأتجاه وادي الرافدين وحقق إنتصاراً نهائياً على الملك الفارسي في معركة گوگميلا(اربيلا) قرب مدينة اربيل الحالية ثم زحف على العاصمة برسيبوليس وأحتلها.



صورة يظهر فيها الأسكندر المقدونى فى إحدى المعارك

توفي الأسكندر في مدينة بابل سنة (٣٢٣ق.م) وقسمت إمبراطوريته بين قادة الجيش فاصبح العراق وسوريا و إيران وكوردستان من حصة سلوقس لذي أسس الدولة السلوقية (٣١١-١٢٦ق.م) وكانت مصر من حصة بطليموس الذي

أسـس فيهـا البطالسـة، أمـا أنتيخونـوس فأصـبح قائـداً علـى مقـدونيا وآسـيا الصغرى و اليونان.

إهتم السلوقيون بالتجارة وتنظيم الأمور المالية بما فيه الأهتمام بضرب النقود وأعمال الصيرفة. وحاولوا تـأمين طريق الحريـر بـين الصـين و البحـر المتوسـط بوضع حاميات عسكرية وبناء القلاع عبر ذلك الطريق البري الطويل.

لم تكن السلطة السلوقية قوية في إيران و كوردستان و نجـح الفرثيـون في إقامـة دولتهم في إقليم پارثيا (خراسان) شـرق إيـران منـذ سـنة ٢٤٧ ق.م ودخلـوا في صراع عسكري مع السلوقيين، فأنحسر الحكـم السـلوقي وتمركـز في بـلاد بابـل ولاسيما في عاصمتهم مدينة سلوقية الواقعة على الضفة الغربيـة مـن نهـر دجلـة جنوب مدينة بغداد الحالية وتعرف خرائبها بتل عمر، وفي سـوريا كـان مركـزهم مدينة أنطاكيا.

إمتزجت الحظارة اليونانية (الهيلينية) مع حضـارة الشـرق في العهـد السـلوقي و العهد الفرثي الذي تلاه ونشأت حضارة جديدة أطلق عليها البـاحثون الحضـارة الهلنستية ،حيث اخذشعوب الشـرق مظـاهر الحضـارة الهيلينيـة في مجـال الفـن والأدب و الفلسفة كما إنتشـرت اللغـة اليونانيـة لاسـيما في المـدن الـتي أسسـها السلوقيون في إيران و العراق و سوريا وكوردستان، فضلا عن إخـتلاط السـكان و التزاوج بينهم. وفي الوقت نفسه تـأثرت الحضـارة اليونانيـة بمظـاهر حضـارة الشرق لاسيما في مجال الفن.

رابعاً : الدولة الفرثية(٢٤٧ق.م- ٢٢٦م):

جاء إسم هذه الدولة من إسم إقليم پـارثيـا (خراسـان) في شـرق إيـران وتسـمى أيضاً بالدولة الأرشاكية لأن القائد الفارسي أرشاك أسـس تلـك الدولـة وسميت

أيضا بالدولة الأشكانية نسبة الى قبائل الأسكيث التي إستقرت في إقليم خراسان و كونت إتحاداً وقوة عسكرية ساهمت في قيام الدولة و التخلص من السيطرة السلوقية. وسميت الدولة الفرثية أيضاً بدولة ملوك الطوائف لأنهاتوسعت بعد إتحاد عدد من الدول و الأقاليم، حيث منح ملوكها الأقاليم التابعة حكما فيدرالياً فنشأت دول صغيرة تابعة للملك الفرثي، منها دولة أديابين (حدياب) بين الزابين (الزاب الكبير و الزاب الصغير) وكانت عاصمتها مدينة أربيل، ومنها دويلة الحضر الآرامية، ودويلة كرخينيا (ميسان) في هور الحويزة.

إهتم الملوك الفرثيون بالعمران، فعمروا المدن القديمة وبنوا عاصمة جديدة (في جنوب مدينة بغداد العالية على نهر دجلة والتي تسمى حاليا (سلمان پاك) سموها طيسفون (المدائن)، كما إهتموا بالتجارة، لذا طوروا طرق النقل وقاموا ببناء الخانات في الطريق لاستراحة التجارة، وحفروا الابار في المناطق الصحراوية حتى أصبح الترانزيت مورداً مهماً لخرينة الدولة. وشجع الفرثيون النشاطات الاقتصادية الاخرى ولا سيما الزراعة وأدخلوا زراعة محاصيل جديدة الى البلاد مثل زراعة قصب السكر وتربية دودة القز لانتاج الحرير الطبيعي.

وأحتل الجيش وقياداته المكانة الاولى لدى الملوك الفرثيين لان الدولة كانت في حالة حرب شبه مستمرة مع السلوقيين والرومان. ومنذ القرن الاول ق. م بدأت صفحة من الحروب الدموية مع الرومان للسيطرة على الطرق التجارية في إقليم الجزيرة(كوردستان) ولاسيما مدن نصيبين وحرانوشنگال. وعلى العموم كان نهر الفرات حداً فاصلاً بين الدولتين. وبغية مواجهة هجمات الفرثيين أقام الرومان دولاً حاجزة بينهم وبين الفرثيون وجعلوا من شمال كوردستان و غيرها

أقليماً رومانياً سموه كوردوئيني وكان مركزه مدينة آمد(دياربكر الحالية) ويعني ذلك تقسيم كوردستان بين الفرس و الرومان منذ القرن الأولى ق.م حيث أصبح أقليم ميديا وأقليم آديابين تابعاً للفرثيين وإقليم كوردوئيني تابعاً للرومان.

وكانت كوردستان تتحول الى ساحة للحرب بين الدولتين لذا عان سكانها الكثير من ويلات تلك الحروب الشبه مستمرة ولاسيما سكان إقليم الجزيرة ، وفي إحدى المرات وصل الرومان الى مدينة أربيل و إحتلوها. لذا تعد فترة الحكم الفرثي فترة مظلمة في تاريخ الشعب الكوردي، جرى فيه تقسيم أرضه وتعرض سكانه لويلات الحرب وما رافقها من تدمير وهجرة السكان وإنتشار الأمراض والمجاعة.

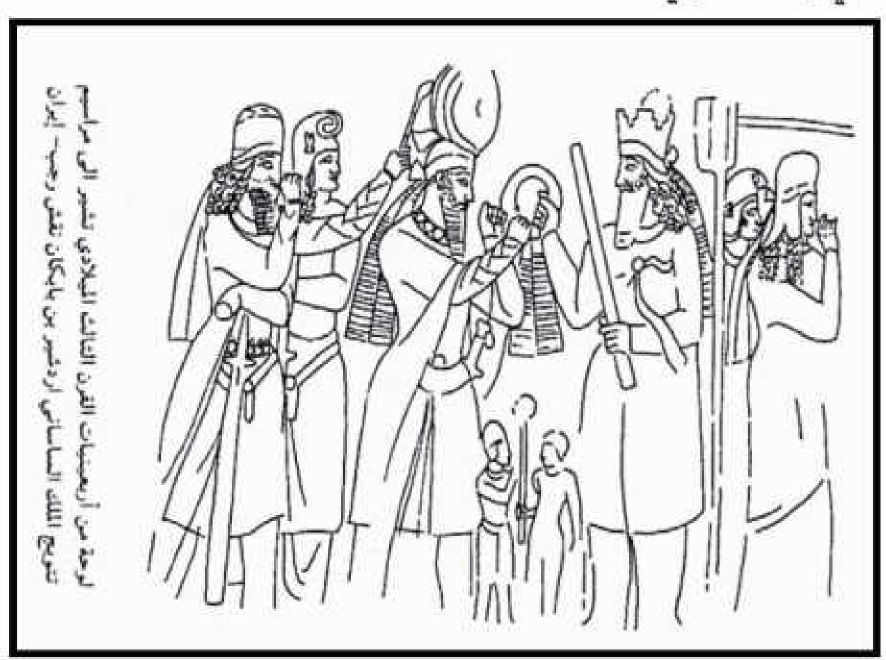
خامساً: الدولة الساسانية (٢٢٦-٦٥١م):

أسس الملك أردشير بن بابك بن ساسان هذه الدولة، لذا سميت بالدولة الساسانية تيمناً بأسم جده الذي كان يعمل في خدمة المعبد الزرادشتي الرئيسي في مدينة أصطخر بأقليم فارس.استغل أردشير ضعف الدولة الفرثية وسياستها الشفافة القائمة على منح الأقاليم التابعة حكما فيدراليا، فوسع نفوذه وإستولى على إقليم فارس مما أدى الى غضب الملك الفرثي أردوان الخامس،فكتب اليه رسالة جاء فيها: ((أنك قد عدوت طورك، وإجتلبت حتفك أيها الكردي المربي في خيام الأكراد، من أذن لك في لبس التاج الذي لبسته، والبلاد التي إحتويت عليها و غلبت ملوكها وأهلها))[1] ، ويدل النص السابق بأن أردشير كان كوردياً أو أنه عاش بين القبائل الكوردية لأن الكوردكانوا

---

[1] الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (بيروت: ١٩٦٧)، ط٢، ص٢٩.

منتشرين في إقليمي فـارس و الأهـواز(خوزسـتان) في ذلـك العصـر وفي العصـور لأسلامية أيضاً، كما يدل بأنه للكورد دور سياسي في إيران بمافيه إقامة الدول. وصلت الحضارة الى مرحلة النضـج في العصـر الساسـاني ولاسـيما فيمـا يتعلـق بنظـام الحكـم وإدارة الدولـة وإتسـم الحكـم الساسـاني بترسـيخ دور الفـرس السياسي و الحضاري .


لوحة من أربعينيات القرن الثالث الميلادي تشير الى مراسم تتويج الملك الساساني أردشير بن بابكان نقش رجب - إيران

وفيما يلي أبرز المظاهر الحضارية في العصر الساساني :

أ- نظام الحكم: كان نظام الحكم ملكياً وراثيـاً و الملـك ينبغـي أن يكـون مـن نسل ساسان وكانت سلطته مطلقة ويتمتع بمركز أسبقت عليـه صـفات العظمـة من أبهة و فخامة تمثلت بالبلاط وتنظيمه وإيوانه الكبير في المدائن.

حـاول الملـوك الساسـانيون إنشـاء دولـة مركزيـة وربـط الأقـاليم مـع العاصـمة بصورة مباشرة لذا قضوا على الدويلات الحاكمة في العهد الفرثي ولكنهم ساندوا

عرب الحيرة في العراق وأصبح ملوك المناذرة من أتباعهم بغية حماية حدودهم الغربية.

وأحاط الملك نفسه بحاشية كبيرة منهم رئيس الديوان الملكي و الحاجب و الحرس الملكي، ينظمون إستقبال الملك للوفود أو منتسبي الدولة. والملك يجلس للعامة في عيدي النوروز والمهرجان ويسمح للجميع بالدخول عليه.

لعب رئيس الوزراء دوراً أساسياً في إدارة الدولة وكان يشرف على الدواوين، لذا لقب هي الفارسية بـ(بزرك فرمادار)، كما كان يتابع إدارة الأقاليم وأحياناً يتولى المفاوضات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية. ولاهميه دور الوزير كان يعد الساعد الأيمن للملك.

ب- طبقات المجتمع: ثبت مؤسس الدولة أردشير بن بابك النظام الطبقي في ايران وإعترف به من لدن رجال الدين الزرادشتيين لذا بات الخروج من ذلك النظام أمراً صعباً. وكان المجتمع الأيراني في العهد الساساني يتكون من الطبقات الآتية:

١- رجال الدين وعلى رأسهم الموبذان (بابا الديانة الزرادشتية).

٢- الأساورة (رجال الحرب) وعلى رأسهم سپابذ (القائد الأعلى للجيش) ولقب قادة الجيش بالزعماء.

٣- فئة الكتاب وكان كبير الكتاب يسمى (دبيريد)

٤- عامة الشعب، وتشمل:

- الأحرار: وهم الفلاحون و الحرفيون وصغار التجار وصغار النبلاء.
- **العبيد.**

وكان للطبقة الأولى و الثانية حقوق و امتيازات كثيرة من أبرزها عدم دفع الضرائب. وتحملت الطبقة العامة عبء الضريبة ومع ذلك كان دورها السياسي هامشياً وأقتصر أتخاذ القرارات السياسية الهامة على الملك وأفراد الطبقة الأستقراطية من رجال الدين و قادة الجيش و كبار النبلاء.

جـ- الديانة : حاول الساسانيون إحياء التراث الأخمينين لذا جعلوا الديانة الزرادشتية الدين الرسمي للدولة وقام الملك أردشير وإبنه شابور بجمع نصوص آلآفيستا وإعادة كتابتها و كتبوا لها تفاسير سميت بـ(زندآفيستا) و شروحات للزند آفستا سميت بـ(بازند). وبسبب النظام الطبقي في إيران وإمتيازات رجال الدين وأفراد الطبقة الأرستقراطية قامت حركات دينية. إجتماعية لوضع حد لنفوذ أفراد الطبقات السابقة، منها الحركة المانوية التي دعت الى التسامح و الزهد ومراعاة حقوق الطبقة العامة. وتأثر ماني بمباديء الديانة المسيحية و البوذية.

بدأت المسيحية بالأنتشار في إيران منذ القرن الرابع البلادي وتعرضوا للأضطهاد من قبل الدولة بسبب الحرب مع الروم، إذ عد المسيحيونموالين لدولة الروم البيزنطية لأن دينها الرسمي كانت المسيحية. وبسبب زيادة نفوذ رجال الدين الزرادشتيين قامت حركة دينية– إجتماعية أخرى تسمى المزدكية نسبة الى مزدك الذي تزعهما. وأيد الملك قباد الأول هذه الحركة لاضعاف نفوذ قادة الجيش و الطبقة الأرستقراطية. دعا مزدك الى تطبيق الاشتراكية وتوزيع الاموال بصورة عادلة بين الناس، كما أنه دعا الى الزهد والنسل والابتعاد عن الشهوات وعدم إيذاء الاحياء أو الطبيعة.

وعلى الرغم من أن الزرادشتية إنتصرت على حركتي ماني ومزدك وحاربت المسيحية، فأنها خرجت منها منهوكة القوى، كما أن الصراع داخل المجتمع الايراني إنعكس سلباً على الدولة ومركز الملك فبدأت تضعف وتسير نحو الانهيار.

د- المدائن: سميت عاصمة الدولة ، المدائن (سلمان پاك الحالية) لانها كانت تتألف من عدة مدن متاخمة لبعضها. وكانت كل مدينة عبارة عن مجمع سكني واسع تحوي قصر الملك ومرافقها ودواوين الدولة، إذ عكف الملوك الساسانيون على بناء قصور جديدة في تلك المنطقة.

ويعد إيوان كسرى (طاق كسرى) من أبرز المعالم العمرانية الباقية في المدائن وهو إيوان كبير تم بناؤه من قبل كسرى أنوشيروان. والايوان هو بناء مهيب شهيد بالجص والطابوق. والايوان كان مستطيل الشكل يحيطه طاق كبير (قوس كبير) معقود بالاجر ، بلغ ارتفاع الايوان (٢٩م) وعرضه (٢٦م) وطوله (٤٣م). ويحيط بالايوان من الجانبين جداران يرتفعان بارتفاعه يمثلان الواجهة الامامية للقصر الملكي، تزينيها الاقواس. وكان الملك يجلس في ذلك الايوان بصحبة وزرائه وخاصته ويلتقى بسفراء الدول الاجنبية في ذلك الايوان، وتم تغطية جدران الايوان بالقماش والسجاد الفاخر

هـ- إصلاحات كسرى أنوشيروان (٥٣١-٥٧٩م):

حاول الملك الساساني كسرى الأول (خسرو) معالجة المشاكل التي واجهت الناس جراء الأضطرابات الناجمة عن الحركة المزدكية مراعيا بذلك حقوق جميع فئات الشعب الأيراني وفق النظام الطبقي القائم. فبعد القضاء على مزدك وأتباعه وإسترجاع حقوق الناس منهم إهتم بالمرأة ورعايتها ودعا الى

مراعاتها وعدم إكراهها على الزواج دون رغبتها.ثم أمر باصلاح الاراضي وكري الانهار وبناء الجسور وخفض الضرائب وشجع العلم والفلسفة وأظهر تسامحاً دينياً واضحاً وامر بتأليف لجنة وضع فيها من إتصف بالنزاهة لوضع نظام ضريبي جديد رعى فيها الفئات الاجتماعية وإمكانياتها فأعفى منها المعدمين أو من يتعرض أرضه لكارثة طبيعية. وأدت اجراءاته الى الاستقرار وسياسة الرفاه، لذا لقب ب(الملك العادل).

الا أن تاثير اصلاحاته كانت لامد قصير، بسبب إستمرار الحرب مع الروم حيث تفاقمت مشاكل الدولة الساسانية بعد وفاة كسرى رغم تفوقهم في حروبهم مع الأكاسرة الروم. ومع ذلك لم يستطع إزاحة الرومان عن سوريا او بلاد الاناضول. وكان من أهم نتائج تلك الحروب ضعف الدولتين الدولة الساسانية ودولة الروم وإنهاك قواهما، لذا لم يستطيعا الصمود امام العرب المسلمين عندما إنطلقوا من شبه الجزيرة العربية الى الشام والعراق بغية نشر الاسلام.

الفصل السادس

الاسئلة :

س١/ بين الاهمية التاريخية للدولة الاخمينية.

س٢/ قارن بين إدارة الدولة في العهد الفرثي والعهد الساساني.

س٣/ تتبع العلاقة بين الفرس والعرب في العهد الساساني.

س٤/ ماهي نتائج الحرب الطويلة بين الفرس والرومان.

س٥/ تحدث عن اصلاحات الملك كسرى انوشروان.

س٦/ ناقش هذه العبارة: ((تسببت الحركات الدينية في تصدع المجتمع الايراني)).

المراجع

١- أحمد أمين سليم، في تأريخ الشرق الأدنى القديمة، دار النهضة، (بيروت: ١٩٩٠).

٢- آرثر كريستن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، (القاهرة: ١٩٥٧).

٣- حسن بيرنيا، تاريخ ايران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نورالدين عبدالمنعم والسباعي محمد السباعي، (القاهرة: ١٩٧٩).

٤- سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق لادنى القديم – ايران والاناضول، (بغداد: ١٩٨٥).

٥- سامي سعيد الاحمد وجمال رشيد احمد، تاريخ الشرق القدع، (بغداد: ١٩٨٨).

٦- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، (بغداد: ١٩٥٦)، ط٢.

الفصل السابع

الباب الاول :الحضارة الاسلامية

البند الاول : الخلافة الاسلامية

أ : مفهوم الخلافة

يقصد بمفهوم الخلافة في التاريخ الاسلامي ذلك الكيان السياسي الذي يتولى خلفاء الرسول (ص) الحكم في أدارة الدولة ويتبعون الدستور والشريعة الاسلامية. ومن الناحية اللغوية فان الخلافة مشتقة من فعل (خلف – يخلف) التي تعني الخليفة أذ يأتي بمثابة من حل محله والذي ذكر في القرآن الكريم بهذا المعنى عدة مرات.

اصطلاحاً تعنى قيادة جماهير المسلمين في أمورهم الدينية والدنيوية من قبل الخلفاء واستمرار سلطة ونهج الرسول (ص) وتطبيق المنهج الاسلامي.

بحث المفكرون والعلماء المسلمين مثل الماوردي وأبو العلاء بدقة وعمق في أسس ومحتويات نظام الخلافة وحدود أهمية وضرورة وجودها وبيّنوا حقوق وواجبات الخليفة وكذلك أكدوا على أن الشخص الذي يترشح لمنصب الخلافة يجب ان يكون انساناً مؤمناً بالله وصادقاً وعادلاً وذكياً وسليماً وله الخبرة الكاملة في الدين والشريعة الاسلامية. بالرغم من ظهور الاحزاب والمجموعات الدينية وسير مدارس الافكار الفلسفية في تاريخ الاسلامي والتي كانت لهم برنامجاً ونظرةً سياسية وحضرية دقيقة. ولهم أراء وتوجهات مختلفة وبعيدة عن البعض وبالنسبة لمصطلح الخلافة وتحديد هويتها وخصائص الاشخاص الذين لهم الحق في تولي خلافة المسلمين.

ب: نبذة تأريخية عن الخلافة:

مرت الخلافة السلامية بعدة مراحل تأريخية مختلفة و بالشكل التالي:–

الخلافة في عهد الراشيدين (١١ – ٤١هـ/ ٦٣٠ –٦٦١م)

لم يحدد النبي (ص) شخصاً مباشراً ليخلفه وكان يريد ان يترك هذا الأمر لاصحابه. وعندما توفي في سنة ١١هـ ٦٣٢م،

أبو بكر الصديق اتفق معظم المسلمين على تولي أبو بكر الصديق الخلافة، لانه كان صديقاً مخلصاً للنبي (ص) ويثق به،وأنه كان مسناً ومستقيماً وصاحب تجربة وكان في مقدمة الاشخاص الذين صدّقوا بنبوة محمد (ص) ولقبه الرسول (ص) بلقب (الصديق).

أنتخب في البداية في سقيفة بنى ساعدة وبايعوه. وفيما بعد بايعه المسلمين في المسجد وسمي بخليفة رسول الله. من ذلك اليوم حتى احتلال بغداد وسقوط الخلافة العباسية على يد هولاكو وجيوش المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، أستمرت نظام الخلافة.

أستمرت خلافة ابي بكر سنتين وعدة أشهر، أثبت الخليفة الأول خلال تلك الفترة القصيرة استقامته والتزامه بأسس الاسلام وإتباعه سنة النبي (صلى الله عليه وسلم).

أستطاع القضاء على المرتدين وحركاتهم في مناطق الجزيرة العربية وثبت سيادة الاسلام في المنطقة، ومن جهة آخرى أستمر مشروع الفتوحات وكان أبوبكر يخاف من مصير الدولة الأسلامية حيث توقع الأنقسامات و المنازعات بين الطامعين في الخلافة، ومن أجل الوقوف بوجه هذه المخاوف وفي الأيام الأخيرة من عمره وبعد التشاور وأخذ الاراء رشح عمر بن الخطاب لخلافته، وكان هذا علامة للذكاء والدقة لابو بكر وفي الحقيقة كان عمر جديراً ليتولى هذه المهمة.

عمر بن الخطاب

وكان الخليفة عمر ذات تجربة وكفائةٍ ويقظة ووضع أسس الدولة الاسلامية ونظم الأمـور الماليـة والاداريـة وحـلّ المنازعـات الداخليـة مـن جـذورها وأسـتمر في الفتوحات والتوسع وتولى بنفسه الاشراف علـى جبهـات الحـرب ويحـدد توجيـه الهجمـات وتم فـتح اقـاليم العـراق والشـام وكوردسـتان (خوزسـتان وشـارەزوور والجزيرة وأذربيجان). ووضعوا تحت سيطرة الخلافة الاسلامية. وكان المسلمين آضافة الى لقب الخليفة يسمونه بـ(آمـير المـؤمنين) والـذي كـان يحمـل محتـوىً سياسياً وعسكرياً على السواء. وفي أواخر سنة ٢٣هـ / ٦٤٤م جرح الخليفة على يد (أبو لؤلؤه) فيروز بأصابة شديدة، وقبل ان يلبي نداء ربه كان مـن الواجـب ان يختار احد كبار رجال الدولـة ليخلفـه، ولم يريـد ان يختـار أحـداً ويـؤدي الى ظهور الخلافات وعدم الاتفاق وأودع هذا الامر الى ست من الرجال الشـيوخ ومـن أصحاب النبي (ص) والمؤلفة من: عبدالرحمن بـن عـوف، علـي بـن ابـي طالـب ،الزبير بن العوام، عثمان بن عفان، طلحة بـن عبيـدالله، سـعد بـن ابـي وقـاص، وهؤلاء كانوا آهل الشورى واعلمهم بان يتفقوا ويختاروا واحداً فيمـا بيـنهم دون ان يكون لابنه عبدالله حق الترشيح حتى لا يستقر نظام الوراثة في الخلافـة، وفي النهاية اتفق آهل الشورى على مبايعة عثمان بن عفان.

عثمان بن عفان

على الرغم من إستمرار الخليفة عثمان في الفتوحات، فأنه قرر جمع القرآن ونجح في ذلك، الاّ ان الفتنة التي حدثت في عهده القـت بظلالهـا الخطـيرة علـى حاضـر الخلافة ومستقبل الامة وكان من اسباب الفتنة الرخاء الذي عمالمجتمع وطبيعـة التحـول الاجتمـاعي في عهـده، وخـروج كبـار الصـحابة مـن المدينـة والعصـبية

الجاهلية وتأمر الحاقدين ودور اليهودي عبد الله بن سبأ بالاضافة الى ليونة عثمان وغيرها مما أدى الى عصيان ولاة الاقاليم حتى وصل الأمر في سنة ٣٥هـ/٦٥٥م ان يحاصر عثمان في داره ثم قتل وهو يتلو القرآن دون أن يقف في وجه المعتدين حفاظاً على أرواح المسلمين ومنعاً لأراقة المزيد من الدماء.

علي بن أبي طالب

تم مبايعة علي بن ابي طالب خليفة للمسلمين من قبل معارضي عثمان ومعظم المهاجرين والانصار وكانوا يسمونه بأمير المؤمنين. ووافق ممثلى الاقاليم بهذهالمبايعة ماعدا والي الشام معاوية بن ابي سفيان رفض مباشرةًمبايعة علي ورفع شعار أخذ الثأر لدم عثمان، وكذلك رفضت عائشة زوجه الرسول (ص) الخلافة لعلي، ووجهت جيشاً من مؤيديرأيها واكثرهم كانوا من اصحاب الرسول.واجههم علي في معركة(الجمل)وقتل عدداً منهم وارجعت عائشة باحترام الى مكة. ومنذ ذلك اليوم اهتزت المنزلة العليا للخلافة بشدة وشوهت قيمها المباركة ووقعت الفتنة والاضطرابات والمنافسة بين جماهير المسلمين وقتل المئات من أصحاب النبي (ص) وقيادات المسلمين. تمخض عن الفتنة بين الخليفة علي – ومعاوية (معركة صفين)التي انتهت بغلبة معاوية على الخليفة علي وأصحابه. وبايعه أصحابه وجعلوه خليفة لهم. وفي جبهة مؤيدى علي أنشقت مجموعة متشددة أتهمت علي بالخروج عن الاسلام لانه اتفق ان يجتمع مع معاوية واتفق معه وسموا انفسهم بـ (الشراة) إلا أنهم عرفوا بالخوارج وخططوا لقتل علي ومعاوية وعمرو بن عاص، واستطاعوا من قتل الخليفة علي فقط وأستشهد في شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ / ٦٦١م في جامع الكوفة اثناء صلاة الفجر.

الخلافة في العهد الأموى (٤١ - ١٣٢ هـ/ ٦٦١ - ٧٤٩م):

بعد مقتل الخليفة علي، أبدى أبنه الكبير الحسن الليونة وحقناً للدماء وتفادياً للفتنة وتنحى عن حقه في الخلافة وبدأ التفاوض، ودخل معاوية الى مدينة الكوفة وأخذ البيعة من أهل العراق وبعدها توجه الى الحجاز وبايعوه هناك واصبح خليفةً واتخذ مدينة دمشق في بلاد الشام عاصمة لخلافته ولم يكن يثق بأهل العراق وشبه الجزيرة العربية وكان يشك فيهم عند بقائه بينهم، الا ان العشائر والقبائل العربية التي هاجرت الى الشام كانوا من المؤيدين والمطاعين للأمويين. وفي العهد الاموي، أهملوا الشورى وتبادل الاراء، ولم يلتزموا بها في اختيار الخليفة بل كانوا مثل الدولتين الساسانية والبيزنطية يعتمدون على مبدأ الوراثة بعد وفاة الخليفة يتولى أحد ابنائه أو أحد أخوانه مكانه دون الاهتمام باراء الشعب ومصالح الدولةالعليا. فبعد وفاة معاوية تولى ابنه يزيد الخلافة واستقرت هذه العادة واتبعها العباسيون والفاطميون في مصر.

الخلافة في العهد العباسي (١٣٢ - ٦٥٦ هـ/ ٧٤٩ - ١٢٥٨م) :

استطاع العباسيون بعد ربع قرن من النضال السري والتنظيم وبدعم من الموالي من اسقاط الدولة الأموية في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م ويتولوا الخلافة لمدة اكثر من خمسة قرون.

لم يشهد الخلافة العباسية آية أصلاحات آو تقدم سليم، إضافة الى مبدأ الوراثة، ظهرت عادات أخرى والتي لا يتلائم مع التفسير الفقهى والافكار الاسلامية حيث تولى بعض الافراد الخلافة وهم في عمر المراهقة، وعندما تولى المقتدر بالله الخلافة (٢٩٥ – ٣٣٠هـ/ ٩٠٨ – ٩٣٢م) كان عمره (١٣) سنة فقط وعين بعض الخلفاء اكثر من أبن لهم ليتولوا مكانه، وحدد هارون الرشيد ثلاثة من ابنائه

ليتولى الواحد بعد الاخر الخلافة من بعده. ومن ناحية اخرى ونتيجة للمشاكل والمنافسات الداخلية ظهرت في الدولة الاسلامية وفي العهد الاموي وفي بداية العهد العباسي عدد من هيئات ومجموعات دينية وفكرية سياسية وكان لكل منهم آرائه الدقيقة حول مفهوم الخلافة وخصائصها والشروط الواجب توفرها في شخص الخليفة.

مرّت الخلافة العباسية بعدة مراحل:

١-عهد القوة: (١٣٢ - ٢٢٧هـ/ ٧٤٩ - ٨٤٢م):

بالرغم من تهديد الحركات المسلحة الداخلية المناوئة في هذه المرحلة، كان الخلفاء أقوياءواصحاب سلطة، وكان أمور الدولة في تعيين وإقالة الوزراء والولاة وأتخاذ القرارات والمواقف وحتى قيادة الجيوش كانت بايدى الخلفاء.

٢- عهد سيادة القادة الاتراك: (٢٢٧ - ٣٣٤هـ/ ٨٤٢ — ٩٤٦م):

لم يبقى للخليفة العباسي آية سلطة وسيادة في هذه المرحلة بل بقي الاسم فقط كرمز ديني، ويتحرك قيادات الترك في هذه المرحلة حسب أهوائهم في ادارة البلاد ولم يبقوا للخليفة آية كرامة، ومتى ما أرادوا يعزلون الخليفة ويُجلِسونَ شخصاً آخر في مكانه وإذا خالف ايٌّ خليفة ولم يُعجب الترك سلوكه فكان مصيره القتل آو السجن وسمل العينين.

وقتل بتحريض من الترك أو العزل عن الخلافة وخلال عشرة أعوام خمسة خلفاء، هم: المتوكل، المنتصر، المستعين، المعتز، المهتدي.

وأخطر من هذا ظهور الفاطميين في المغرب الأسلامي وأعلانهم تأسيس الخلافة الفاطمية الشيعية، في نهاية القرن الثالث الهجرى/ بداية القرن التاسع الميلادي.

أستولوا على مصر في سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩ وبنوا مدينة القاهرة وجعلوها عاصمة لهم. وخطى الأمويون نفس الخطوة في سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م في بلاد الأندلس سمّوا إمارتهم بالخلافة ولقب عبدالرحمن الناصر نفسه بلقب الخليفة.

لم يعترف الفاطميون و الأمويون في الأندلس بشرعية السلطة فيما بينهم ولا بشرعية الخلافة العباسية في بغداد، بل ان الفاطميين عملوا منذ البداية بكل الطرق و الأشكال لأنهاء الخلافة العباسية وجعل العراق و الحجاز تحت سيطرتهم ولكن دون جدوى.

٣- العهد البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٦-١٠٥٥م):

كان الخليفة العباسي في هذه المرحلة في أقصى مراحل الضعف في السلطة، وكانت أمور الدولة تُدار من قبل البويهيين وبقي الخليفة شكلاً دون سلطة تذكر وجعلوا له راتباً شهرياً محدداً وخصصوا له كاتباً لتمشية أعماله و مستلزماته. وكان اسم الأمير البويهي مع أسم الخليفة دائماً في خطب أيام الجمعة ويذكر كذلك على السكة.

بقي للخليفة فقط إستطاعته في تعين القضاة وأمام المساجد ورجال الدين ويشرف على الأمور الدينية. ولايحق له أن يتدخل في سياسة الدولة.

٤- العهد السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ/ ١٠٥٥-١١٩٤م):

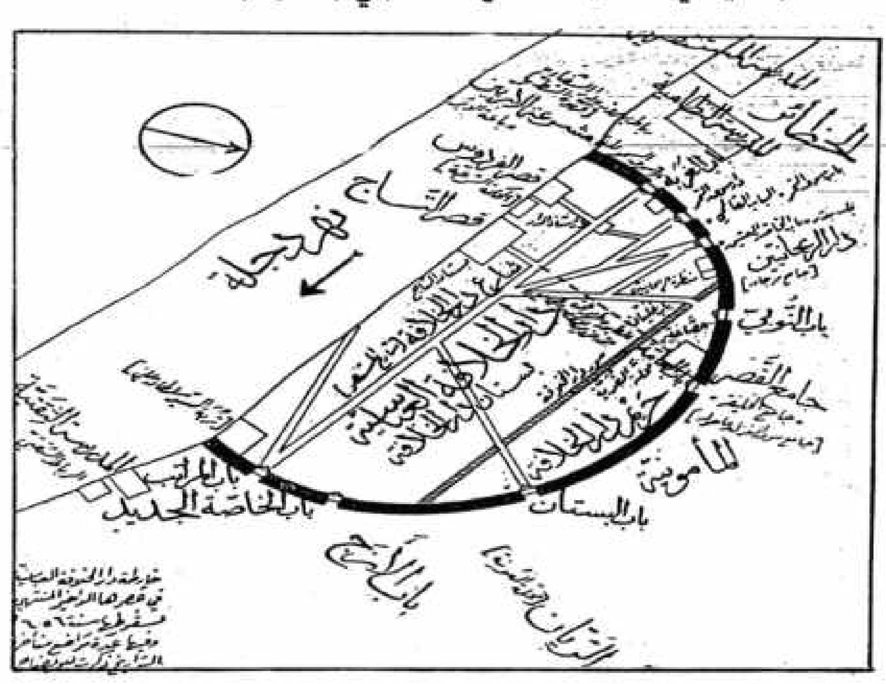
على الرغم من ان السلجوقيين أستولوا على بغداد العاصمة والأقاليم، ولكن في الوقت نفسه انعشوا الخلافة العباسية وأبعدوا مخاطر الفاطميين.

وبعد وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي في سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م أتجهت الدولة السلجوقية تدريجياً نحو الضعف والانحلال، ووقعت التفرقة والحروب بين ابناء ملكشاه وأمراء الدولة وتجزأت السلطة السلجوقية في القرن السادس الهجري

الثاني عشر الميلادي وأصبح الخليفة العباسي طرفاً في هذه المنازعات حيث كان يساند سلطاناً ضد الآخر.

٥- فترة انتعاش الخلافة (٥٩٠ - ٦٥٦هـ/ ١١٩٤ - ١٢٥٨م):

بعد وفاة سلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م لم يبقى للسلجوقيين سلطة تذكر. أنعش الخليفة (الناصر لدين الله) (٥٧٥ – ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ – ١٢٢٥م) الخلافة وتولى السلطة وبدأ المؤسسات بالعمل. ولم يبقى سلطة سياسية أعلى من سلطة الخليفة وكانت الدول والامارات الاسلامية يحترمه ويعترفون بسيادته، أستمرت الحالة هذه حتى احتلال بغداد وأنهيار الخلافة العباسية في بغداد استولى المماللك التركيه في مصر والشام على السلطة ومن اجل ان يمنحوا الشرعية لحكمهم قاموا بأخذ أحد اعضاء الاسرة العباسية الى مصر وتعينه خليفة في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م دون أن يمنحوه أية سلطة. خارطة دار الخلافة العباسية في عصرها الأخير المنتهي بسقوطها سنة ٦٥٦هـ/١٢٠٨



البند الثاني:

الدواوين

تقوم الدواوين في الدولة الاسلامية بنفس الامور والواجبات التي تقوم بها الوزارات في العصر الحديث والمعاصر، اي ان الدواوين هو تاريخ العصور الوسطى الاسلامية، والوزارات الحالية.

بعد أن توسعت الدولة الاسلامية الحديثة التأسيس وتجاوزت حدود شبه الجزيرة العربية وأمتدت الى جميع الجهات ووضعت عدة اقاليم ومدن في الشرق والغرب الجهات ووضعت عدة اقاليم ومدن في الشرق والغرب تحت سيطرتها، لم يتمكن الخلفاء والمسؤولين من إدارة الأمور منفرداً والدولة بحاجة الى التنظيم وتقسيم الاعمال والواجبات وتشكيل الدواوين كي يستمر العمل بدقة دون أية مشاكل.

بداية وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب والذي يعتبر اول من صاغ اسس المؤسسات الادارية للدولة الاسلامية. وأنشأ ديوان العطاء لوضع مكان تقسيم وتوزيع النقود والاموال الكثيرة التي تأتي من موارد الاقاليم المفتوحة التى استولت عليها وتسجل اسماء العرب الذين يستحقون العطاء وتحديد حصة كل واحد حسب خدمته مع النبي (ص) وقدمه في الاسلام ودرجة خدمته وأخلاصه.

في هذا الديوان والذي يعرف بديوان الجند كان يسجل فيه اسماء وهوية المقاتلين والمحاربين المسلمين ورواتبهم ودرجاتهم ومنزلتهم ومعيشتهم.

ازدادت الدواوين في العصر الاموى وتوسعت اعمالها. طور الخلفاء الامويون معاوية بن ابي سفيان وعبدالملك بن مروان وهشام بن عبدالملك الدواوين وأنشأوا عدداً من الدواوين الحديثة.

أتجـه مشـروع الفتوحـات في عهـد الخلافـة العباسـية نحـو الضـعف وأنحفـض تـدريجياً وتحـول المجتمـع الاسـلامي الى مجتمـع مـدني ومسـتقر ولم يبقـى للحياةالعسـكرية الـرواج السـابق. وأسـتقرت المؤسسـات الاداريـة والماليـة والقضائية للدولة وشهدت التقدم.

أصبح الدواوين اكثر خبرة وأنشأ عدداً آخر من الدواوين الذي يشرف على تنفيذ اعمالهم، إضافة الى ديوان العطاء، كان اهمها:

١- ديـوان الملكيـة (ديـوان الخـراج): هـو ذلـك الـديوان الـذي واجبـه تعريـف وتسجيل تلك الاراضي الزراعية ويشمل ضريبه الخراج والاشراف على استلامها وزرعها وضريبة الملكية وايداعها الى خزينة الدولـة وكـان مـن الواجـب ان يقـوم بهذه الاعمال الاشخاص الذين يتصفون بالخبرة والاخلاص والنزاهة.

٢- ديوان البريد: يشرف هذا الديوان على نقل الاخبار والرسـائل بـين الولايـات والعاصـمة. وهـو أحـد الـدواوين المهمـة والقيمـة وعـن طريـق يعـرف الخليفـة والمسؤولون التغييرات والاحداث المتوقعة للاقليم الولايات ويهتمون به إهتمامـاً خاصاً ويعينون فيـه اشخاصـاً حساسـاً ونشـطاً ويسـتخدمون البغـال والخيـول السريعه الجرى وكان على هذه الطرق نقاط للحماية ومحطات للاستراحة ويعرف حامل الرسائل بـ (صاحب البريد) وكان يستريح في هذه المحطات ويعطى البريد لشخص آخر ليصـله الى محطـة آخـرى او المكـان المقصـود، وفي ايـام الحـروب الصليبية استخدم الـزنكيين والايـوبيين في نقـل اخبـار جبهـات الحـرب الحمـام الزاجل وخاصة في الاوقات التي يتحـول خطـوط النقـل والمواصـلات الى اهـداف للهجمات المعادية.

٣- ديوان المظالم: نشأ هذا الديوان بقرار من الخليفة المهدي بن ابي جعفر المنصور. ويتكون مهمته في النظر الى الشكاوي وعرائض المواطنين ضد الولاة والجباة وموظفي الدولة وتهيئة العرائض وتنظيم المواعيد لاصحابها مع الخليفة، وكان الخلفاء العباسيين يقومون بأنفسهم بين فترة واخرى بالجلوس لمقابلة المظلومين والنظر في عرائضهم. وكذلك كان لهذا الديوان الحق في اجراء البحوث واتخاذ الموقف حول ظاهرة ارتفاع اسعار الاقمشة والمواد في الاسواق واسباب اعتقال الناس دون التحقيق والاستيلاء على أراضي المواطنين ظلماً.

٤- ديوان الرسائل: يعتقد بعض الباحثين بان الرسائل هي اول الدواوين في التاريخ الاسلامي. وبدايتها تلك الرسائل التي ارسلها النبي (ص) الى الملوك ويطلب منهم باعتناق الدين الاسلامي وكان مهمة ديوان الرسائل صياغة الرسائل والبلاغات للخليفة الى الولاة وممثلي الاقاليم والولايات وتنظيم رسائل الدولة مع الدول الخارجية وتهيئة كل المكاتبات التي يصدر من الخليفة من البيانات والاوامر والاتفاقات.

٥- ديوان النفقات: يشرف هذا الديوان على نفقات الجيش والدوائر الادارية وتأمين العملات ويمكن تسميتها بدائرة التخطيط المالي.

٦- ديوان الخاتم: ان مهمة هذا الديوان هو ختم الرسائل والقرارات والاوامر بختم الخليفة وأنشأ بقرار من الخليفة معاوية بن ابي سفيان على آثر التزوير في

احدى رسائله وتغيير محتواها لذا قرر ان يختم اوامره ورسائله ويختم احداها بالشمع الاحمر ويحفظ في مكان أمين.

٧- ديوان الطراز: يقوم هذا الديوان بصنع الالبسة الملابس للخليفة وكبار رجال الدولة وتخطيط الرايات والاعلام والشعار الخاص بالدولة.

٨- ديوان الصدقات: ان مهمة هذا الديوان هو الاشراف على الاموال الواردة من الزكاة والصدقات ليتم توزيعها على مستحقيها وفق احكام الشريعة. أضافة الى هذا ظهر في العصر العباسي عدة دواوين منها ديوان المصادرات يسجل في هذا الديوان أسماء أصحاب الملكيات والاراضي التي تجهزها الدولة بسبب مخالفتهم أو عدم التزامهم بالقوانين.

٩- ديوان الازمة: انشأ الخليفة المهدي هذا الديوان من اجل مكافحة الفساد في دواوين الدولة. والمؤلفة من عدة دواوين صغيرة ويراقب كل ديوان تصرفات ديوان آخر ويدقق في آموره. وفيما بعد انشأ الخليفة المهدى أيضاً ديوان (زمام الازمة) لمراقبة ومتابعة نشاطات ديوان الأزمة. ومن الجديد بالذكر ان اكثرية المسؤولين والموظفين وكتاب الدواوين في الدولتين الأموية والعباسية كانوا من الشعوب الاسلامية الغير عربية أي من الموالي وخاصة الفرس لأنهم كانوا لهم تجربة جيدة وخبرة كاملة في الادارة. وكانت اللغات المستخدمة في دواوين الولايات حتى سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م هي تلك اللغات المستخدمة قبل الاسلام. اللغة الفارسية(البهلوية) في العراق وكوردستان والولايات الشرقية، واللغة اليونانية في بلاد الشام، واللغة القبطية في مصر. وعندما وصل المسلمون الى تلك الولايات لم يغييروا الدواوين بل بقيت على حالها. لأنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عنها ولم يكن لهم كافية في مجالات الادارة خبرة.

الاسئلة :

١- عرف مفهوم الخلافة.

٢- عدد اعمال الخليفة عمر بن الخطاب ثم وضح لماذا لم يحدد شخصاً ليتـولى مكانه ؟

٣- ماذا يقصد بالوراثة؟ متى استخدمت في منصب الخلافة الاسلامية؟

٤- حدد الاختلاف بين المرحلة الاولى والمرحلة الثانية للخلافة العباسية؟

٥- لماذا أنشأت الدواوين وكيف تطورت؟

٦- عرف هذه الدواوين: ديوان المظالم - ديوان الطراز- ديوان زمام الازمة.

٧- وضح الاختلاف بين ديوان البريد و ديوان الرسائل.

المصادر :

- الماوردي، الاحكام السلطانية
- ابن طباطبا، الفخري في الاداب السلطانية
- الشهرستاني، والملل والنحل
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر
- صبحي صالح، النظم الاسلامية
- عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الامل
- توفيق سلطان اليوزبكي دراسات في النظم العربية الاسلامية.

البند الثالث

الحركة العلمية والفكرية الاسلامية

اولاً : اسباب ظهور وتطور الحركة العلمية والفكرية :

ان قـراءة وانتشـار القـرآن الكـريم وبحـث أحاديـث الـنبي (ص) واللـذان همـا المصدران الرئيسيان للشريعة الاسـلامية، كانتـا الـدافع والعامـل المحـرك المـؤثر لظهور وتطور الحركـة الفكريـة والعلميـة والحضـرية الاسـلامية ويشـجع المسـلمون للتعليم والقراءة والابـداع،ورد في القـرآن الكـريم مئـات المـرات ذكـر مفـردات العلـم والتفكير والوعي والتأمل ومشتقاتها وكلمة (أقرأ) هي أول كلمة نزلـت مـن القـرآن، وأعتبر النبي (ص) طلب العلم واجب على كل المسـلمين ولـه في هـذا المجـال عـدة احاديث.

ان دل ذلك على شيء فأنه يدل على اهتمام الاسلام كخاتم للاديان السـماوية ومحمـد(ص) خـاتم النبـيين بـالعلم. ان الشـعوب الاسـلامية منـذ بدايـة اعتنـاقهم الاسلام بدأوا بتعليم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم وتفسير المقاصـد والمعـاني للسور والآيات وجمع الاحاديث النبي (ص) ومعرفة الاحاديث الحقيقية والبحث عـن حياة واعمال وسلوك الرسول ومعرفـة وتصـنيف الاشـخاص الـذين يـروون اعمالـه واحاديثه شفوياً الواحـد عـن الآخـر كـي يقلدونـه ويلتزمـون بسـنته. ممـا آدى الى ظهور عـدة علـوم دينيـة كعلـوم القرآن ومنهـا: حكـم القـراءات والتفسـير واسـباب النزول والناسخ والمنسوخ وعلوم الحديث ومنها: الاسناد والجرح والتعديل.

ومن جهة اخرى بما ان الرسول ﴿ص﴾ مبعوث من عند الله تعـالى الى النـاس كافـة وهو يدعو الى دين الله ونشر قيم الخير والفضيلة بـين النـاس وهـو امـام المسـلمين فلابد للمسلم ان يعرف سيرته وجهـاده مـن اجـل اعـلاء كلمـة الله ولابـد ان يكـون للمسلمين معرفة كاملة بحيـاة اصـحابه ودورهـم فـى نصـرة الرسـول ونشـر الـدين

الاسلامى كما اشار القرآن الكريم الى الامم الغابرة وقص نُبَذاً من تاريخها وحضارتها ومن هنا ظهر الاهتمام بعلم التاريخ وعلم الاجناس عند المسلمين والفوا كتب عديدة حول سيرة الرسول ﴿ص﴾ وحروبه وغزواته وترجموا لحياة اصحاب الرسول﴿ص﴾ وقبائلهم وعشائرهم وكذلك القبائل العربية التي شاركت في عمليات فتوح البلدان والاقاليم وتاريخ الاحداث التى واجهت الدولة الاسلامية ، ومنهنا ظهر جيل من المؤرخين مثل (ابن اسحاق ،ابن هشام ،الكلبي ،والمدائني) وغيرهم . وفى القرون الاسلاميةالاولى كان الاهتمام مقتصراً على المعلومات المتعلقة بالعقيدة الاسلاميةوبجوهر الاسلام والسيرة النبوية.

ونتيجة لفتح اقاليم الشام ومصر والعراق وبلاد فارس انتشر العرب المسلمون الفاتحون فى تلك الاقاليم واخلتطوا بالشعوب والاقوام المختلفة ممن كان لهم نصيب من الحضارة تأثروا بهم كما انهم متأثرين بهم لان فى هذا الاقاليم كثير من الحضاراتالقديمة ومتقديمة وكثير من المؤسسات الادارية والمالية والعلمية هناك ففى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى)ظهرت فى الخلافة العباسية حركة نشطة فى الترجمة بحيث ترجم عشرات من المصادر الفكرية والفلسفية والفلكيةوالجغرافية والرياضياتمن اللغة السريانية الى اللغة العربية مما ادى الى معرفة المسلمين بنظرات وملاحظات واراء روأد الحضارة اليونانية.

ومن ناحية اخرى كان للجماعات والفرق الفكرية والدينية فى المجتمع الاسلامى دور ملحوظ فى تقدم الناحية العلمية والفكرية لدى المسلمين منهم المعتزلة وإخوان الصفافى البصرة وغيرهم مما ادى الى ظهور حركة فكرية وعلمية عامة لدى المسلمين وظهرت مئات المفكرين والفلاسفة والاطباء والجغرافين الفلكيين من المسلمين،وفي مجالات العلوم الانسانية ابدع المسلمون في انتاج الاعمال

الجبارة والممتـازة وبهـذا خـدموا خدمـة كـبيرة للحضـارة الاسـلامية والانسـانية جمعاء.

ثانياً/ مراكز الحركة الفكرية والحضرية :

يتضمن العالم الاسلامي العريض والواسع العشـرات مـن الاقـاليم والـدول وآلاف المـدن والقصـبات والقـرى. ان الاهتمـام بـالعلوم الثقافيـة والدينيـة والانشـغال بالقراءة والكتابة والتأليف ظاهرة اعتيادية.

يعتبره الطبقة المثقفة والواعية واجباً دينياً مقدساً وضرورة مهمة لحياتهم.

يوجد في جميع المـدن والقصـبات المسـاجد وغـرف الدراسـة ان حركـة التعلـيم مستمرة وبالدرجة الاولى علوم القرآن والاحاديث ودراسة اللغة العربية.

لم يكن هناك أقليماً لم يشتهر فيه عدد مـن الفقهـاء والمفكـرين والشـيوخ آو لم يصبح مركز إقليمللعلم والعلماء المسلمينوبين هذه الاعـداد الكـثيرة مـن المـدن والقصبات، وكانت هناك مدن يتهيأ لها ان تلعب دوراً سياسياً وأقتصادياً ولكن في مرحلة تاريخية آخرى يتحول الى المحور الرئيسي للحركـة الفكريـة والحضـرية ويختصن مجموعات من الطلاب والعلماء والادباء.

١- مكة المكرمة والمدينة المنورة:

منــذ بــدايات العصــر الاســلامي وبســبب كــون المدينتينمكــة المكرمــة و المدينةالمنورةسـابقتي العهـد بالاسـلام أصـبحتا مركـزين علمـيين وحضـاريين بارزين يتميزان بالدرجة الاساس البحـث في علـوم القـرآن والاحاديـث والعقيـدة. وكذلك ظهرت في المدينة المنورة مدرسة لكتابة التاريخ وكان يهتم بكتابة ظهـور الاسلام وأنتشاره في شبه الجزيرة العربية والاقاليم المجاورة وكتابة حياة الـنبي (ص) وأصحابه.

٢- العراق:

كان العراق مركزاً للدولة الاسلامية في عهد العباسيينالذين بنوا مدينة بغداد في سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م وجعلوها عاصمة، وظهرت في البصرة والكوفة مدرستان حضاريتان مختلفتان وأهتما بعلوم القرآن وقراءته ورواية الاحاديث وفنون اللغة العربية.

وكانت لهم في بعض المواضيع الدينية واللغوية آراء ونظرات مختلفة والتي أدت بالتالي الى ظهور المناقشات وتبادل الافكار والآراء، وأنقسم علماء العراق على هاتين المدرستين.

ظهرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي جماعة (أخوان الصفا) في البصرة تحت التاثير الحضاري والفلسفة اليونانية، وكانوا يريدون قيام ثورة واسعة يغيروا من خلالها المجتمع الاسلامي نحو الافضل وفي رسائلهم المنشورة في آحدى الكتب عرضوا عدة مسائل ومشاكل حسب فهمهم ووضعوا الحلول لها ،وفيما يتعلق ببغداد آصبحت خلال فترة قصيرة مركزاً عمرانياً وحضارياً أزدادت فيها المساجد ودور العلم والمكتبات وأتجه اليها من الشرق والغرب طلاب العلم والمعرفة ويبقون فيها كثيراً كان ام قليلا، وكل عالم مسلم اذا اراد ان يطور مستواه العلمي كان عليه القيام بزيارة بغداد ليستمر بالدراسة في مؤسساتها العلمية ويكون شخصيته العلمية.

ان كبار العلماء المشهورين مثل موسى الكاظم وأبو حنيفة والجاحظ وسيبويه وابن قتيبة والطبري تلّقوا تربيتهم ونضوجهم من بغداد والمراكز العلمية العراقية الاخرى.

٣- الشام ومصر:

شهدت بلاد الشام خلال فترة الزنكيين والايوبيين حركة علمية واسعة وأنشأت في مدن دمشق وحلب والقدس والمدن الاخرى الكثير من المساجد والجوامع والمدارس.

وإذا تصفحنا صفحات كتابي (الاعلاق الخطيرة) لمؤلفه ابن شداد و (الدارس في تاريخ المدارس) لمؤلفه النعيمي يتضح لنابان الامراء والمسؤوليين والاغنياء والخيرين من الدولة الزنكيه والدولة الايوبية الى اي حد كانوا يطيعون الله ويلتزمون بالدين ويهتمون بالعلم وكم كانوا ملهوفين لاعمار المساجد والمدارس والجوامع وكم أنشأوا على حسابهم الخاص.

بعد الاستيلاء على بغداد وأنهيار الخلافة العباسية (سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) واحتلال الاقاليم الشرقية من قبل جيوش المغول انتقلت ثقل ووزن الحضارة الاسلامية كلياً الى الشام ومصر، وحلت القاهرة ودمشق وحلب محل بغداد والمدن العراقية الاخرى.

وعندما تولى المماليك السلطة بعد الايوبيين في الشام ومصر أرادوا ان يقوموا مثل الايوبيين في الاعمال العمرانية والاهتمام بالعلماء والادباء وأسنادهم. أنشأوا عدداً من المؤسسات العلمية في القاهرة ودمشق وجميع المدن الاخرى، وتحولت القاهرة مثل بغداد في ايام العباسيين وأصبحت عاصمة للعلوم والافكار والادب،ومقراً لشمل ونضوج العلماء والادباء. ووصلت دمشق وحلب الى مستوى القاهرة ومركزين خصبين لكتابة التاريخ. ترعرع في بلاد الشام ومصر اصحاب المواهب أمثال ابن تيمية والذهبي وابن قيم الجوزية وابن كثير والزين العراقي وابن حجر العسقلاني والسيوطي.

٤- المغرب الاسلامي والاندلس:

يتمثل المغرب الاسلامي في الاقليم والولايات الممتدة من الصحراء الغربية في مصر وحتى سواحل المحيط الاطلسي، فتحت هذه المنطقة الشاسعة خلال العصر الاموي وضمها الى الدولة الاسلامية واصبحت مدن القيروان وفاس ومراكش وتلمسان وطنجة مراكز لنشر العلم والثقافة الاسلامية، ولعب المرابطون والموحدون دوراً جيداً في تثبيت الاسلام وتطوير العلوم الاسلامية في مناطق شمال غرب افريقيا.

وفي بلاد الاندلس والتي كانت تحت حكم الدول والامارات الاسلامية خلال ثمانية قرون وأصبحت خلال الفترة الطويلة ساحة للابداع العلمي والحضاري.

وكانت قرطبة وغرناطة واشبيلية وبلنيسية(ڤالنسيا) من أهم المراكز العلمية والادبية، وظهرت اجناس من الفن والادب في الاندلس لم تكن لها مثيل في بلاد المشرق.

أشتهر في المغرب الاسلامي والاندلس عدة علماء وعباقرة وكتاب متمكنين ومفكرين اذكياء وكفوؤين امثال ابن عبد ربه وابن رشد ولسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون والذين ذاع صيتهم في الشرق.

٥- خراسان واقاليم الشرق الاخرى:

يظهر من بين العوائل الحاكمة في الشرق الاسلامي السامانيين والغزنويين الذين لعبوا دوراً مؤثراً في خدمة علماء الشرق خدمة لا حدود لها لعلوم الاحاديث وفنون اللغة العربية وابدعوا في الاجناس الادبية بنتاجاتهم العملاقة. ان نسبة عالية من علماء المسلمين اصلهم يرجع الى مدن وقرى خراسان والاقاليم

الشرقية الاخرى. ويلاحظ في المصادر العشرات من العلماء المشهورين امثال البخاري والبلخي والسمرقندي والمروزي والنيسابوري وغيرهم.

ثالثاً: المساجد والمدارس:

ان المساجد أضافة الى انها كانت اماكن للصلاة والعبادة، كانت مراكزاً للتعليم والدراسة والاعدادايضاً، وحتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كانت المساجد تلعب دور المدارس والتعليم ويخصص عدة غرف لالقاء الدروس والتعلم.

ان المساجد في الاساس كانت اماكن للصلاة والعبادة، ولم تكن في إستطاعة المساجد ان تستوعب جموع الطلبة والمتعلمين بعد ان أخذت الاعداد سنة بعد آخرى بالمدّ واتسعت دائرة الموضوعات الدراسية.

ولاشك أن القاء الدروس ومناقشتها وأصوات التلاميذ والمتعلّمين قد تضايق المصلين وتخلق اجواءً عبادية غير ملائمة. لذا فكروا بالفصل في اماكن الدراسة عن المساجد وخصصوا لها اماكن خاصة سميت بالمدرسة وعادة كانت تنشأ بالقرب من المساجد، بالرغم من هذه الخطوة فأن المساجد لم يتخلى عن دورها في العلم وكان بين فترة واخرى وبدرجة أقل من السابق تلقى الدروس في المساجد.

نظام الملك:

هو الوزير المشهور للسلطانين السلجوقيين آلب ارسلان (٤٥٥ – ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ – ١٠٧٣م) وملكشاه (٤٦٥ – ٤٨٥هـ/ ١٠٧٣ – ١٠٩٢)

وصاحب فكرة تأسيس المدرسة. أنشأ أول مدرسة في التاريخ الاسلامي والذي أنشأه في سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م في بغداد العاصمة وعرف بالمدرسة النظامية، وفيما بعد أنشأوا عدداً من المدارس الأخرى في المدن التابعة للدولة السلجوقية والتي كانوا فروعاً من التي في بغداد وعرفوا بالمدارس النظامية لم يبقى تدريجياً من المدن والقصبات دون مدرسة أو أكثر، وعلى سبيل المثال كانت توجد في اربيل مدارس(الربض والقلعة و المجاهدية)ويستقبلون سنوياً مجموعة من طلاب المدينة وأطرافها.

يدرس في المدارس أضافة الى علوم القران والاحاديث والأصول والعقيدة واللغة العربية والذي يعتبر من العلوم الرئيسية والاساسية مختلف المواضيع الادبية والفكرية، ويستغرق الدراسة عدة سنوات وينقسم على عدة مراحل، يتعلم الطلاب على ايدى الملالي والاساتذة، وكان من الواجب عليهم ان يجتازوا مرحلة بعد مرحلة لكي ينالوا الاجازة وشهادة العمل.

برزت في المدارس المتطورةالتخصص، فكل علم يلقيه استاذ متخصص وخبير آضافة الى القاء الدروس كانت تعقد الندوات والاجتماعات العلمية والفلسفية في المدارس. وكان العلماء والاساتذة يجلسون مصطفاً يسألون عن مواضيع مختلفة.

ومن الناحية المالية فان سلطة الدولة هي التي كانت تشرف على المدارس ويمنح الرواتب للاساتذة ويتحمل نفقات المستلزمات.

وكانت هناك مدارس تنشأ من قبل المتبرعين الخيرين ويجعلون بجانبها بساتين وقرى تابعة لوقف المدرسة ويعتمدون على الموارد الموقوفة لمعيشة الاساتذة والمستلزمات الاخرى.

الاسئلة :

- عدد عوامل ودوافع ظهور وتطور الحركة العلمية والفكرية الاسلامية بالنقاط؟
- ماهي المراكز الظاهرة للحركة العلمية والفكرية؟
- لماذا انفصلت المدارس عن المساجد؟
- من هو نظام الملك؟عرفه.
- ماذا كان يدرس في المدارس؟

المصادر:

- آدم ميتز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري.
- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام
- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون
- ابو زيد شيلي، تاريخ الحضارة الاسلامية
- احمد امين، فجر الاسلام
- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي
- خليل ابراهيم السامرائي، دراسات في الفكر العربي.

الباب الثاني

الحضارة الكوردية في القرون الوسطى

البندالاول :مفهوم القرون الوسطى ونبذة مختصرة عن الكورد :

يقصد بمفهوم القرون الوسطى تلك المراحل التاريخية التي تقع بين القرون القديمة والعصر الحديث والمعاصر، ولهذه المرحلة خاصيتها المتمثلة في اختلاف نواحي كثيرة من النشاط الاقتصادي والفكري والعقلاني عن العصور والمراحل الاخرى.

للباحثين المؤرخين أراء ومفاهيم مختلفة لتحديد بداية ونهاية القرون الوسطى. وفي الحقيقة ان لكل شعب أو دولة أو اقليم ظروف ومقايس تاريخية وأوجدت نقطة تحول في عجلة التاريخ وعلى ضوئها تحدد المراحل التاريخية:

ان تاريخ الكورد وكوردستان لم يكن خارجاً عن هذا الدستور ويمكن تقسيمه بهذا الشكل:

١- التاريخ القديم- تاريخ العصور القديمة:

يبدأ منذ فجر تاريخ الكورد ويستمر حتى ايام مشروع فتوحات اقاليم ومدن كوردستان من قبل العرب المسلمين والتي تحققت فى عصر ثاني خلفاء الراشدين عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٤هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٥م).

٢- تاريخ القرون الوسطى - العصور الوسطى:

يبدأ من مشروع فتح اقاليم ومدن كوردستان حتى معركة چالديران سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وتقسيم كوردستان.

مما لا شك فيه ان الفتح الاسلامي لاقاليم ومدن كوردستان ومعركة چالديران يعتبران حدثين مهمين جداً ومؤثرين على تاريخ الكورد تأثيرات عميقة

ومصيرية ونقلت حياة ومعيشة القومية الكوردية من مرحلة الى مرحلة آخرى جديدة ومختلفة، ولهذا جعل هذين الحدثين الواحد بعد الآخر كنقطة بداية ونقطة النهاية للقرون الوسطى، ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى عصرين:

أ– عهد الخلافة الاسلامية (١٨ – ٦٥٦ هـ / ٦٣٩ – ١٢٥٨م):

يبدأ من وصول المسلمين الى مدنجلولاء وحلوان حتى احتلال بغداد من قبل جيوش المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م و أنهيار الخلافة العباسية.

ب– عهد الاحتلال المغولي(الايلخاني و الجلائري) ،والتيموري،والتركماني(قره قوينلو و آق قوينلو): من سقوط بغداد و حتى معركة چالديران ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤م.

٣– التاريخ الحديث:يبدأ من معركة چالديرانحتى نشوب الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨ م

٤ – التاريخ المعاصر:يبدأ من نشوب الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨ م حتى وقتنا الحاضر

الكورد في القرون الوسطى

الكـورد قوميـة قديمـة و أصـيلة و نبيلـة و أحـدى القوميـات الكـبيرة و المشهورة في الشرق. وأستقر منذ القديم في مسكنه و وطنه كوردستان. وتكيف مع طبيعته و طقسه و أتخذ شكله و أنسجم مـع الجبـل و الـوادي و المنحـدر و السهل و مياه الينابيع الصافية و الانهار. وواجه باستمرار التهديدات الخطيرة و الضغط الخارجي و أنتصـر علـيهم. وفي القـرون الوسـطى، و بشـهادة الرحالـة و المؤرخين فان الكورد شعب حذق و معروف و لعب دوره حسـب وزنـه و كيانـه المسـتحق و الجـدير ولـه المشـاركة الحقيقيـة الواضـحة في جميـع الاحـداث و المناسـبات و التطـورات ذات العلاقـة وأثبـت حضـوره المـؤثر مـن الناحيـة السياسية و العسكرية و انتفض ضد السلطات الاجنبية و المحتلين الخـارجين و قام بثورات مسلحة وواجه هجمات الجيوش من الاعداء و أنشأ زعامة لعشيرته و حكما محلياً و أمارات مستقلة و شبه مستقلة في مناطق مختلفة من بلاده و عقد علاقـات صـداقة مـع الخلافـة العباسـية (١٣٢ – ٦٥٦ هـ / ٩٤٦ – ١٢٥٨م) و الدول الاخرى. وخلال الفترة العباسـية، وبالاسـتفادة مـن الظـروف السياسـية و الاقتصادية للخلافة والاستفادة من قساوة و حصانة المنطقة الجبليـة و البعيـدة عن السيطرة من منـاطق كوردسـتان، أنشـأ عـدة حكومـات و أمـارات كـبيرة و صـغيرة، وحكمـوا مئـات السـنين في أمـورهم المحليـة و المنـاطق التـى تحـت سيطرتهم.

اكبر و أشهر تلك الامارات يتكون من:

١- الامارة الشدادية في اقليم أران و ارمينيا في شمال كوردستان(٣٤٠-٥٩٥ هـ/٩٥١-١١٩٩م) و كانت مدن كنجه، دوين (دبيل)، وأني ،و برذعة تحت سيطرتها.

٢- الامارة الروادية (٣٣٧- ٤٥٦هـ / ٩٤٨ - ١٠٧٤م) في اقليم أذربيجان (آتروباتگان) في مدن تبريز، مراغه، شنو، اورمية، سلماس.

أنشأت هاتين الامارتين على يد أمراء عائلتين من قبيلة الهذبانية الكورديتين. الهذبانية هي قبيلة كوردية كبيرة ومنتشرة جداً ولها عدة فروع وعشائر وأفخاذ واستقروا في سهل اربيل ومناطق الزابين(الزاب الكبير والزاب الصغير) وفي جبال كيله شين وسلماس وحول اطراف بحيرة اورمية.

٣- أمارة الحسنوية- البرزيكانية (٣٤٨ - ٤٠٦ هـ / ٩٥٩ - ١٠١٥م):

أنشات هذه الامارة من قبل عائلة ذات سلطة ومن قبيلة البرزكانية في بلاد شارةزور و أقليم الجبال وفي عهد الامير حسنويه ابن حسين البرزيكاني والذي حكم اكثر من عشرين سنة (٣٤٨ - ٣٦٩ هـ / ٩٥٩ - ٩٨٠م)، وأصبحت أمارة ذات سلطة مثل قوة المنطقة مؤثرة و أعترف بها من قبل الخليفة العباسي و السلطة البويهية. ولهذا تعرف بالامارة الحسنويهية. بعد وفاة الامير حسنويه وقعت الاضطرابات و المنازعات بين ابنائه على الوراثة و أمتدت لفترة طويلة و أنتهت بتولي الامير بدر مكان والده و لفترة طويلة (٣٦٩ - ٤٠٥ هـ / ٩٨٠ - ١٠١٤م) تولى الامارة، وبعد وفاته بفترة قصيرة انهارت الامارة نتيجة للمنازعات و الانقسامات الداخلية.

٤- الدولة الدوستكية - المروانية (٣٧٢ - ٤٧٨هـ / ٩٨٢ - ١٠٨٥م) في أقليم الجزيرة وزوزان وفي مدن ميافارقين، حصنكيفا، آمد(دياربكر)، ارزن ، سعرت ،جزيرة بوتان.

وضع اساس هذه الامارة على يد الامير باد دوستك، بعد مقتله سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م أستمر ابناء أخته والذين هم ابناء مروان بن كاكيالچار بوختي الكوردى في السلطة. بينهم الامير احمد بن مروان الذي حكم اكثر من نصف قرن (٤٠١- ٤٥٣هـ / ١٠١١- ١٠٦١م) وهو من ابرز وأنشط حكام الكورد وأوصل دولته من الكيان الصغير المحلي الى مستوى دول المنطقة، ووصلت السلطة السياسية للكورد في عهده الى القمة.

٥- الامارة العنازية في حلوان وشارەزور (٣٨١هـ - ٥١١هـ / ٩٩١ - ١١١٧م) بعد ضعف وانهيار الامارة الحسنوية البرزيكانية تولت عائلة كوردية أخرى من المنطقة ومن قبيلة شازنجاني السلطة في شارەزورومناطق اخرى تعرف ببني عناز.

أضافة الى هذه الامارة المعترفة بها، وهناك عدة امارة صغيرة ولها زعامة عشائرية، وكل امارة في منطقة محددة بدير عدد من القلاع والمدن والقصبات عشيرة هزيانى في اربيل واطرافها، زرزاري في القلعة وقصبتها. خفتيان ، هاوديان، رواندوز و بالەكان وسيدەكان. الحميدية في قلعتي عقرة وشوش وهكاري في قلاع (العمادية، آشب ، هرور)،جولەميرگ، بوتانى في جزيرة بوتان واقليم زوزان ،وبشنوي في قلعة فنكالواقعة في شمال جزيرة بوتان ،ومهراني في قلاع وقرى منطقة زاخو ،و روژكى في مدينة بدليس وأطرافها ،تيموري في قلعة تيمور في أقليم ديار بكر ،وعشيرة چوپى في قلعتى شاتان وحصن طالب.

وكانت هذه الامارات تقوم بادارة الامور السياسية و العسكرية لهذه المناطق من كوردستان. وان الامارات الكبيرة و المعروفة كانت مستقلة في المنشئات و المؤسسات الادارية و المالية و القضائية و الاقتصادية، و يعترف الخليفة العباسي في بغداد بجميعها.

يحترم الامراء الكورد من جانبهم الخلفاء العباسيين و يعتبرونهم رمز سلطتهم الشرعية و لايخالفون أوامره و قراراته.

وكان الامراء الكورد يضربون سك النقود باسمائهم بعد تدوين اسم الخليفة العباسي و السلطة البويهية عليها. وكذلك يذكر اسمائهم بعد اسم الخليفة في خطبة ايام الجمعة و يدعون لهم. وتعتبر هذين الخطوتين بانها العلاقة التي اعتبرها الامراء بان حكمهم مستقلة.

استمرت الحالة هذه حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادي، تعرضت الاقاليم الكوردية و سائر الاقاليم الشرقية الاسلامية الى هجمات واسعة من قبل الترك السلجوقيين و بقيادة طغرك بگ وألب ارسلان و ملكشاه. وان احدى النتائج السلبية لهذا الهجوم هو سقوط وأنهيار الامارات و السلطات المحلية الكوردية، ومن جهة أخرى أنتشرت الكثير من القبائل و الافخاذ و أحفاد الترك و التركمان في كوردستان و أستقروا فيها، وفيما بعد وفي القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادي، استطاعوا وتحت ظل تشجيع واسناد السلجوقيين انشاء عدد من السلطات على ارض كوردستان و الذي يعرف في التاريخ بـ(الاتابكيات).والشعب الكردى من حيث نوعية الحياة ومستوى المعيشية في العصور الوسطى على ثلاثة اقسام وهم :

١- (سكان المدن):- عاشت نسبة من الشعب الكوردى وسكان كوردستان في المدن و القصبات و أنشغلوا بالتجارة و العمل في السوق و الصناعات المختلفة مثل الحدادة، التجارة، الصياغة، بيع الاقمشة النساجة، الصيدلانى، و العماله...الخ.

وبعضهم كانوا موظفين في الدوائر، وفي تلك الفترة كانت هناك عدد من المدن و الاسواق المعمورة و المزدحمة النشطة مثل: أربيل ، سنجار ، حلوان ، آمد ، ميافارقين ، حصنكفيا ، سعرد ، بدليس ، داقوق ، سلماس ، اورميه ، شنو، دينور ، كرماشان (قرمسين) ، شابورخواست ومدن أخرى. وفي بعض هذه المدن كانت تعيش مجموعات اثنية ودينية اخرى كالارمن والسريان،واليهود الذين كانوا يشتغلون على الاكثر في بعض الحرف و تبادل العملات و التجارة هذا بالاضافة الى العرب والتركمان الذين استوطنوا بعض المدن الكردية.

٢- القرويون:

في الحقيقة ان اكثر سكان كوردستان استقروا في القرى و الارياف و القصبات و توجد الآلاف من القرى و الارياف الكبيرة و الصغيرة. ومثلما يعرف ان المناخ في اكثر مناطق كوردستان ملائمة و صالحة للزراعة، ومن الواضح ان القرويين منشغلون بتربية الحيوانات والفلاحة، يربون مختلف الحيوانات الداجنة من الاغنام و الماعز و الابقار و الثيران و الدواجن، وفي الوقت نفسه كانت القرى والارياف مصدراً لتأمين المدن و القصبات بجميع انواع المنتجات الزراعية و الحيوانية.

٣- (البدو الرُحّل):

حتى السنوات الاخيرة فان عدداً من العشائر و الافخاذ و العوائل الكوردية كانوا يتنقلون سنوياً بين الشمال و الجنوب بحثاً عن الاعشاب. ومنذ بداية الخريف كانوا ينسحبون من المصايف (الشمال) مع حيواناتهم من الماعز و الاغنام نحو السهول الحارة و السهوب ومع بداية الربيع و ملائمة الجو كانوا يحملون اُمتعتهم و حملهم و منحدرات سلاسل الجبلية المرتفعة، حيث توجد العشرات من المراعي الغتية بالاعشاب و الحشائش على طول الصيف، وعلى سبيل المثال وفي القرون الوسطى كانت قبيلة كيكاني _ كيكى تقضي فصل البرودة و الشتاء في السهول المحيطة بالموصل وينصبون خيامهم فيها.

وخلال الربيع يتجهون نحو الاقاليم الباردة الواسعة مع العشائر و الطوائف الاخرى معا و يعيش في هذه المراعي صيفاً و بنفس الشكل، فان عشيرة روند (روادى) الرحالة و التي هي فرع من عشيرة الهزباني الكبيرة، يقضون الشتاء في سهول اربيل وضفاف نهر الزاب.

وفي الصيف كانوا يبقون في مصايف جبال كيلة شين واطرافها. ومن ناحية التركيب الاجتماعي، فان الشعب الكوردي مثل بقية شعوب العالم الاسلامي الاخرى ينقسمون الى عدة قبائل وعشائر وطوائف،. وكل واحدة من هذه القبائل والعشائر والطوائف تختلف من ناحية الملابس والالبسة والعادات الاجتماعية ونوعية المحادثة قليلاً كان ام كثيراً عن الاخر.

تتألف القبائل المعروفة والقديمة في كوردستان من:

في بلاد شهرزور و المناطق الحارة: گلالى(جلالى)، برزيكانى، شازنجانى،گوران (الجورقان)، البابيرما، اللاويني،وفي جنوب كوردستان: گاوانىاي (جاوانيه)،

بطوائفها وعشائرها: بشيرى،نرگزى (النرجسية)، زوهيرى، هوارى،وفي اربيل واطرافها: الهذبانية والتي لها عدة عشائر وطوائف الا ان المعلوم منها اثنتان فقط وهما :مارانى و روادى (رەوەندى).، وفي اقليم الجزيرة :زرزارى،گەردى (كەرتاوى)، سورانى، الحكمية.

في بلاد داسن وعقرة: وهكارى، دامنى، مهرانى، روهزادى، يعقوبى، الحميدية، مازنجانى، كيكانى، دونبلى،گوران، هكارى، وفي شمال كوردستان :بوختى (بوتانى) بشنوى، زومى، جوبى، روژكى، القيمرية،كوردەكى، شيروانى، محمودى، بازوكى، وفي اقليم لورستان وجنوب اقليم الجبال: طوائف وعشائر قبيلة اللور، روژبيانى، لك، فيلي، بختيارى، مامسانى، ساكى، مامويى...

الاسئلة :

١- حدد مراحل تاريخ كورد و كوردستان.

٢- عرف مفهوم القرون الوسطى.

٣- اذكر اسماء ثمانية قبائل كوردية وثمانية مدن كوردستان.

٤- اكتب تقريراً موجزاً حول القبائل البدوية وشبه البدويه في كوردستان.

المصادر والمراجع

- ابن الاثير، الكامل في التاريخ.
- حمدالله المستوفي، تاريخ گزيده.
- محمد امين زكى،ميژووى كوردو كوردستان.

البند الثاني

حضارة الدول والامارات الكوردية

ان الامارات و الدول الكوردية جميعها لهم حضارة خاصة بهم في اطار العالم الاسلامي. وكل واحدة منهم شاركت حسب ظروفها السياسية و الاقتصادية للمناطق الخاضعة لها و مكاناتها و جدارتها في صياغة اسس و تقدم الحضارة الكوردية. ومن هنا نبحث كمثال على بعض النواحي العقلانية و الحضارية للامارة الحسنويهية و الدولة الدوستكية- المروانية و الدولة الايوبية.

١- حضارة الامارة الحسنوية (٣٤٨ - ٤٠٦ هـ - ٩٥٩ - ١٠١٥م)

الامير بدر بن حسنوى (٣٦٩ - ٤٠٥ هـ / ٩٧٩ - ١٠١٤م) هو أحد الشخصيات الكوردية البارزة و المعروفة و أشتهر في القرون الوسطى بها منه و سخائه و عقيدته و شعبيته. وتتحدث المصادر حول صفاته و خصائصه و أثنوا عليه.

وكان للامير بدر شخصية شجاعة، باسلة، جريئة، أنيقة و حكيمة. ومن الناحية الانسانية كان عادلاً متديناً، محسناً، سخياً، صابرا و صادقاً، و فيه جميع تلك الخصائص و الاخلاق و الذى كان يجب أن يكون له شخصية ذات سلطة و مسؤولية.

و نتيجة لمكانته الشخصية و الجديدة و نجاح الامير بدر، أنتهت في ذلك القسم. من كوردستان الظروف الغير اعتيادية و المعقدة و تقلصت التشنجات السياسية الى حدٍ ما و ظهرت الأمنوالاستقرار فقط.

ومما لاشك فيه ان الظروف السياسية المستقرة والآمنة و البعيدة عن التشنجات و التعقيدات في جميع العهود و العصور وفي كافة الاقاليم و دول العالم كانت

شرطاً و عاملاً اساسياً لضمان المدينة و الحضارة و الانتعاش الاقتصادي و تفعيل النشاط الزراعي و الصناعي و التجاري. و البدء باعمال البناء و العمران و تشجيع الحركة الثقافية و الفكرية و الدراسية، ومن هنا يلاحظ بوضوح ان ظروفاً ملائماً قد هيات في أيام الامير بدر و تقدمت حضارة المنطقة بدرجة عالية، وتقدمت النشاط الاقتصادي و التجاري ونشطت المشاريع التعليمية و الثقافية و العلمية و بدأت حملة العمران و شملت معظم المدن و القصبات و القرى و الارياف في شارزور و اقليم الجبال.

أ- العمران:

أهتم الامير بدر اهتماماً رئيسياً بالمجال العمراني و الابنية و بنظر اليه كظاهرة جميلة متقدمة و خصص له رأس مال كثير في الميزانية، و خاصة أبنية المساجد لانها تصبح مكاناً للصلاة و العبادة الى جانب أعمار العشرات من الجوامع و المؤسسات الخدمية و الخيرية، يذكر النصوص التاريخية بان الامير بدر أنشأ اكثر من ألفين جامع في حدود سيطرته الجغرافية، مثل تلك التي يلاحظ في مدن دينور و كرماشان و بروجرد و بعضهم باقية حتى الايام الحالية بعد ترميمها و تجديدها. ان العشرات من العلماء و رجال الدين الكورد الذين اشتهروا و الذين انتشروا في اقاليم و دول العالم الاسلامي، أكملوا مراحلهم البدائية في الدراسة و التعليم في هذه المدارس و ملحقات هذه الجوامع.

وكذلك أنشأ الامير بدر على الطرق العامة، عدداً من محطات الاستراحة و الاستقرار، يستفيد منها التجار و المسافرين و كانت هذه المحطات بجانب الجوامع والخانات و تكون مكاناً لبقاء الافراد الغرباء و المهاجرين و النازحين و الفقراء. و يؤمن المستلزمات للجميع من الالبسة و الملابس و السرير و الفراش

و الاكل و المشرب. ومن جهة اخرى فـان الاسـطة و المعـاريف الكـورد منسـبين لانشـاء الجوامـع و المؤسسـات الخدميـة الاخـرى و القصـور و الابنيـة الواسـعة لامارة الحسنويهية و مقر الامير بدر و أمراء أخرى و يلتزمـون بـالفن المعمـاري الكوردي في انشائه بالرغم من أنهم لايخرجون عن دائرة البناء الاسلامي. و لكن الطابع الاصلي المحلي باقية فيها و يمنحها نوعية خصوصية و يمكن أن نبحـث في أسس و آثار هذه الجوامع و المنشات في تاريخ التطور الفني للابنية.

ب- النظام المالي:

بالرغم من ان الامارة الحسـنويهية ملتزمـة و مؤيـدة للخلافـة العباسـية و تحـت سيطرة و سـيادة الخليفـة وان الامـراء يطيعونـه و ينفـذون أوامـره و قراراتـه و يعتبرونه رمزاً للسلطة الشرعية، ولكـن مـن الناحيـة الماليـة لم تكـن لهـا علاقـة بالخلافة تذكر وأنها كانت صاحبة نظام مالي خاص و خزينة مستقلة.

ويعبر الوجه المشرق لاستقلالية المالية امارة الحسـنويهية عنـدما خطـى الامـير بدر بن حسنويه خطوة جريئة وهو ضرب وصك النقود و جسارته بتخطيط اسم الخليفة العباسى و اسم الحاكم البويهي وأسمه، ان هذه الخطوة و حسب أعراف القرون الوسطى يحلل بان الامـير بـدر بـالرغم مـن اعترافـه بالسـلطة الروحيـة و الدينية للخليفة و السلطة السياسـية للامـير البـويهى، يعتـبر نفسـه في المنـاطق الخاضعة له بانه مسؤلا مستقلاً.

وضرب الامير بدر خلال فترة حكمه عدة دنانير من الـذهب و دراهـم مـن الفضـة باسمه. واستخدم محلياً كعملة مع العملات الاخرى المتداولة امثال هذه العملات باقية حتى اليوم و يحتفظ بها في المتاحف.

جـ- التجارة:

ان الهدوء والسكون للمناطق الواقعة تحت سيطرة امارة حسنوي، وثراء المدن والقرى بالمواد والانتاج المعدني والنباتي المتنوع وتنسيق الطرق أثرت على تنشيط الحركة التجارية وأنجاز مشاريع التبادل التجاري وسهولة مجيء وذهاب القوافل وبعيداً عن التهديدات والخوف وكذلك فان الامارة تقع على الطريق الدولي بغداد — خراسان والذي يعرف بـ(طريق خراسان =الطريق السلطاني) ويربط الطرق بالاقليم الشرقية ومطلقاً فأن الزيارات العلاقات التجارية واستمرارية مرور المسافرين يؤمن مورداً جيداً لسكان حلوان (الوند) ودرتنگ و سربيل زهاو، ان أمن هذا الطريق الحي وحماية أرواح المسافرين من القطاع الطرق، يؤمن فقط بزعماء ورؤساء القبائل الكوردية، لذا فان المسؤولين البويهيين اضطروا الى احالة تنفيذ هذا الامر الى رئيس عشيرة شازنگانى وكذلك يربط قليلاًمن الخطوط المحلية بمدن وقرى الامارة. ويسفيد منه السكان في تصدير واستيراد محاصيلهم وموادهم. ان الحقيقة الثابتة هو ان النشاط التجاري يحتاج الى السوق أي مكان التقاء البائع والمشتري واجراء التبادل والبيع والشراء، ان كثرة الاسواق في البلد علامة للنشاط التجاري في ذلك البلد. وفي امارة حسنوي لم تكن مدينة او قصبة دون سوق او اكثر. على سبيل المثال توجد عدة اسواق في دينور العاصمة ومدن قرمسين (كرماشان) وآسد آباد وبنديجين (مندلي)، الا ان في مدينة حلوان يلاحظ فقط سوقاً طويلاً. هذا اضافة الى سوق صغير عندما يقام في المناسبات او في فترة غير محددة. بقي ان نقول عند اقامة وانشاء الاسواق كانوا ياخذون بنظر الاعتبار موقعه الذي يجب ان يكون في مركز المدينة وقرب المسجد الرئيسي للمدينة.

الاسئلة

١- احضار تقرير حول حياة واعمال الامير بدر بن حسنويه.

٢- ما فائدة واهمية الطريق التجاري والسوق في العمل التجاري؟

٣- سابقاً - ما دور الاخر الذي يلعبه المسجد اضافة الى الصلاة؟

٤- عرف العملة.

المصادر والمراجع

١- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.

٢- ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ.

٣- الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندي، الكورد في الدينور وشهرزور. رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية الاداب ١٩٧٥.

ب – حضارة الدولة الدوستكية – المروانية (٣٧٢ – ٤٧٨ هـ /٩٨٢ – ١٠٨٥ م)

تأسست الدولةالدوستكية المروانية على يد الامير (باد بن دوستك الحاربوختي) في حدود السنة (٣٧٢ هـ – ٩٨٢ م) والذي كان من اسرة منحدرة في قبيلة حاربوختي التابعة لعشيرة (بوختي – بوختاني) في اقليم الجزيرة شمال كوردستان.

لم يكن الامير باد من العائلة ثرية او ذو نفوذ، ولم يكن ابن رئيس عشيرة او يملك الكثير من القرى بل كان شاباً راعياً للاغنام وكان انساناً شهماً ورؤوفاً وكان يلاحظ منه في صباه سمات الرجولة والنخوة والجرأة كان يساعد المساكين والفقراء ويشارك في الغزوات ضد الدولة البيزنطية وكان الناس يلتفون حوله ويحبونه ويساندونه حتى استطاع السيطرة على مدينة (ارجيش) شمال جزيرة وان وكذلك استطاع وفي فترة قليلة ان يجعل المدن (حصنكيفا و ميافارقين و جزيرة بوتان و نصيبين) تحت سيطرته وأسس كيان سياسي متين. قتل الامير باد في معركة قرب الموصل مع الحمدانيين في عام ٣٨٠هـ – ٩٩٠م حيث قاد ابناء اخواته ابو علي وسعيد ابناء المروان بقايا جيشه وانسحبوا الى مدينة (حصنكيفا) والذي كان انذاك مقراً للامارة استمر ابناء واحفاد مروان بن كاك في الحكم لذلك كانت هذه الدولة تعرفبـ(الدوستكية المروانية)، حتى اصبحت في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري كبقية الامارات الكوردستانية الاخرى هدفاً لاطماع ونفوذ الدولة السلجوقية سنة ٤٧٨ هـ – ١٠٨٥ م.

كان الامير احمد الابن الاصغر لمروان من اعظم واشهم امراء الدولة الدوستكية المروانية مقارنة مع الجميع الامارات الكوردستانية حيث حكم لأكثر من نصف القرن (٤٠١ – ٤٥٣ هـ / ١٠١١ – ١٠٦١ م) وكان معروفاً و محترماً

على مستوى الشرق الاسلامي وكان موضع ثقة للخليفة العباسي السني في بغداد والخليفة الفاطمي الشيعي في مصر كل على سواء، كان كل واحد منهم يحاول ان يجذبه الى نفسه، وفي يوم الاول من توليه للسلطة جاء وفد كلا الخليفتين مع ممثل الدولة البيزنطية مع العديد من الهدايا والمنح بغرض التهنئة الى العاصمة، ولقبه الخليفة العباسي بلقب (نصر الدولة وعمادها) كما لقبه الخليفة الفاطمي بـ(عز الدولة ومجدها) وكان الامير احمد بن مروان وعائلته سنياً لذلك اختار لقب الخليفة العباسي وعرف في التاريخ بـ(نصر الدولة).

اجتاز الدولة الدوستكية المروانية اطار وحدود الامارة ولم يكن اقل شأناً من الدول الاخرى وكان يملك كل المؤسسات الخدمية والحضارية وكان المسؤلون يهتمون كثيراً بتقدم الدولة وخدمة المواطنين حتى بدء اقليم الجزيرة أي شمال كوردستان ينتعش في جميع المجالات في العهد المرواني، حيث انتعشت الحياة الاقتصادية وبدأت حملات الاعمار تزداد و ازدهرت النشاطات الفنية والعلمية وذكرت المصادر نبأ هذا التقدم و الازدهار و مايأتى بعض الجوانب المضيئة:-

أ- الصناعة :-

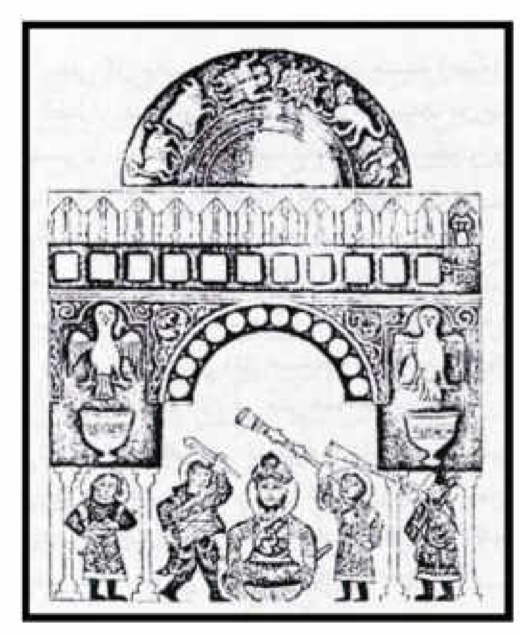
شهد اقليم الجزيرة في عهد الحكم المرواني نهوضاً كبيراً حيث كانت مدن (آمد ،حصنكيفا، ميافارقين ، سعرد ،أرزن) مركزا للعديد من المصانع و المعامل التي تنتج اشياء متنوعة، وكان المسؤلون المروانيون يقدمون تسهيلات كبيرة لاصحاب المهن و يهيؤن المناخ المناسب لهم و يؤمنون احتياجاتهم، وكان اقليم الجزيرة يشتهر بكونه غنياً بالمواد الخاصة التي تستخدم في هذه الصناعات منها الزراعية او المنتوجات الحيوانية كالقطن و الكتان و الحرير و النباتات الطبيعية وانواع الفواكه و الغابات و الجلود و الصوف او المواد المعدنية كالحديد و النحاس و الذهب و الكبريت و الزئبق و الرصاص و الزرنيخ و المواد المعدنية الاخرى.

وكانـت الصـناعات الشـائعة آنـذاك والتـى كانـت جـديراً بالاهتمـام هـي صـناعة الألبسة و الأقمشه و النسيج و السجاد و الحدادة كالابواب و الشبابيك و مكـائن الفلاحة و الاسلحة كالسيف و القوس و الخنجر و السكين، وصـناعة الأطعمـة و الزينة كالمرطبات و العطور و الصابون.

وكانت نسبة محددة من هذه المواد المصنوعة تصـدر الى خـارج الاقلـيم الى بلاد الشام و ارمينيا و آذربيجان و كـان التجـار يسـتوردون مقابـل ذلـك اشـياء اخرى و يأتوا بها داخل الاقليم، وكانت هناك علاقات تجارية و طيدة بين الدولـة الدوستكية المروانية و الامبراطورية البيزنطية في الغرب.

لم تقـف الحركـة الصـناعية المروانيـة في هـذا الحـد ولم تكـن تشـمل فقـط متطلبـات حيـاة الانسـان اليوميـة بـل تجاوزهـا حتـى و صـل مرحلـة العمـل الميكانيكي حيث كانت تستخدم فيها الفنون والتكنولوجيـا العلميـة في الفلـك و يقوم بذلك خبراء و مختصون ومن اهم هـذه الاعمـال الميكانكيـة انشـاء سـاعة (بنظام).

ساعة بنگام:-



ساعه بنگام

تعتبر انشاء سـاعة بنگـام قمـة ماوصـل اليه الابداع و المهارة الكوردية في القرون الوسطى و يعد مبادرة علمية لا مثيل لها في التـاريخ لأن ابـداع رائعـة فنيـة كهـذا أنـذاك كـان نـادراً في الشـرق الاسـلامي. انشأت هذه الساعة بأمر واشراف الامـير (نصر الدولة) احمد بن مروان في الجـامع الكبير لمدينة (ميافارقين) عاصمة الدولة ولكن مايدعوا الى الاسف عدم معرفة

الايدى الساحرة التى صنعت هذا العمل الرائع، ويبدو أن هذه الساعة كانت تعمل بحركة الماء او ذوبان الشموع او بعض المكائن الميكانيكية مربوطة بمقاييس حسابية وفلكية متصلة بحركة الشمس ومراحل دوران القمر.

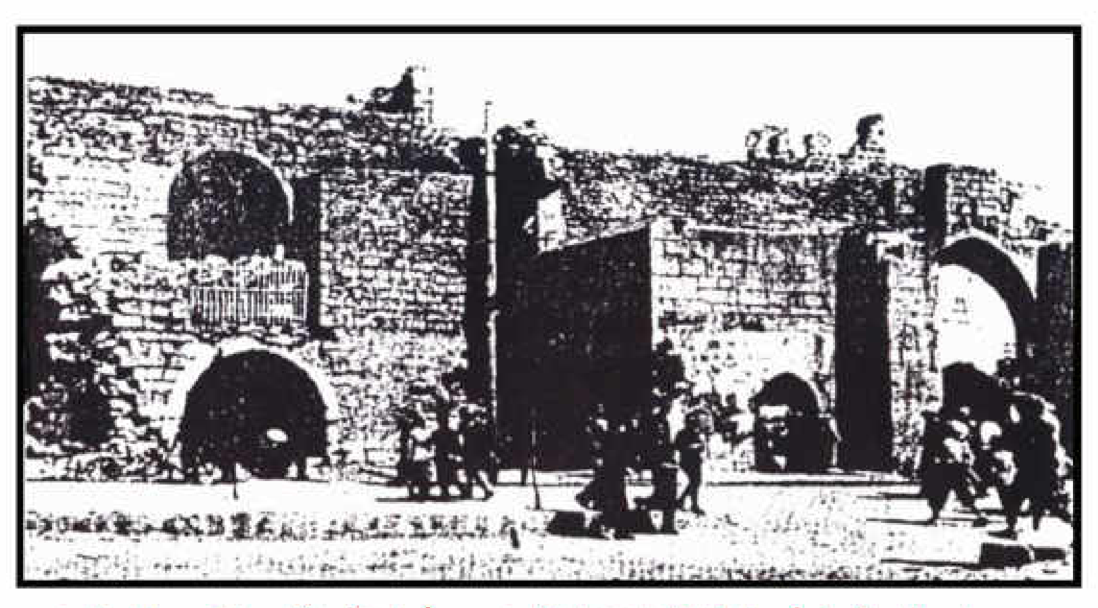
مما لاشك فيه ان اختراع جهاز كمثل ساعة بنكام له تاثير عميق على صناعة الميكانيكية في الاقليم والدول المحيطة ويسجل هذه المأثر للدولة الدوستكية — المروانية في التاريخ.

ب- النشاطات الثقافية :-

كان الامراء المروانيون يعرفون مدى اهمية وفائدة القراءة والكتابة في تقدم المجتمع،فقد كان الامير (نصر الدولة) يحب الادب ويرغب في العلوم والفنون ويهتم كثيراً بالعلماء والكتاب وطلاب العلم و يمنحهم الهدايا ويساعدهم ويشجعهم و يؤمن احتياجاتهم كأدوات الكتابة وأماكن التعلم.

ويذكر المؤرخون ان حاضرة الامير (نصر الدولة) اصبحت منبراً للعلم والادب والمعرفة ومركز و منتدى يلقي منها العلماء والشعراء والفنانين ويتردد اليها هؤلاء من كافة المناطق ويعتبرونه مناخاً خصباً لنشاطاتهم.

ويعتبر ظهور كوكبة من الفقهاء والشعراء والكتاب حصيلة اخرى لما قام به الامير نصر الدولة من تشجيع لهذا المجال وكان هؤلاء من خريجي الجوامع في مدن (آمد، ميافارقين، حصنكيفا، طنزة، جزيره بوتان، هيزان، أرزن، شاتان، فنك) ولهم الفضل في ازدهار وتطور الحضارة في الدولة المروانية وصادروا حملة رسالة نشر القراءة والكتابة في الكوردستان للاجيال القادمة منهم:—



صوره جامع المروانيين فى مدينه ئامد (دياربكر) حيپ شيد بأمر الامير (نصر الدوله) سنه ٤٤٧ هجريه ١٠٥٥ ميلاديه .

١- الشاعر والأديب حسين بن داود البشنوي.

٢- الفقيه الشافعي الشيخ محمد بن فرج الفارقي.

٣- الشاعر واللغوي ابو علي بن حسين بن سعد الآمدي.

٤- القاضي والفقيه الشافعي الحسن بن ابراهيم بن علي الفارقي (٤٣٣-٥٢٨هـ) (١٠٤٢ - ١١٣٤م) ، قاضي مدينة واسط في العراق وصاحب كتاب (الفوائد على المذهب).

٥ - الاستاذ والخطيب والشاعر واللغوي معين الدين يحيى بن سلامة الحصكفي المعروف بـ(خطيب حصن كيفا).

١- الشاعر والأديب الحسين بن داود البشـنوي (٤٦٥ هـ - ١٠٧٢م)

عاش الحسـين بـن داود في القـرن الخـامس الهجـري/ الحـادي عشـر مـيلادي وعاصر الامير (نصر الدولة) واشتهر بين افـراد عشـيرته (البشــنـوي) بالشـهامة والرجولة ولد في قلعة (فنك) وتاريخ ولادته مجهول، وتقع هذه القلعـة علـى بعـد عدة كيلومترات الى الشمال من جزيرة بوتان وكـان مركـزاً لامـراء البشــنويـة في العهد العباسي.

كان الحسين البشـنوي شاعراً وكاتباً مبدعاً ألـّف ديوانـاً للشـعر و كتـابين، ولكن ما يدعوا الاسف عدم وجود أي اثر لهم ومن غير المسـتبعد ان يكـون قـد فقدوا، والذين دونوا حياته وردوا مقاطع شعرية من ديوانه وقاموا بنشـره وهـي عبارة قصائد للمقاومة وحب الوطن ومدح الامير بـاد بـن دوسـتك وعائلـة امـراء عشيرة البشـنوي. يعتقد بعض المؤرخين ان الشاعر الحسين البشنوي هـو اول شاعر كوردي افتخر بالشعب الكوردي.

٢- الشاعر والكاتب ابو ناصر المنازي (٤٣٧ هـ- ١٠٤٥م)

كان ابو ناصر احمـد بـن يوسـف المنـازي كاتبـاً موهوبـاً وشـاعراً ذو قـدرة كبيرة وذو حس مرهف ولد في مدينة (مەلازگرد– منازكرت) بـالقرب مـن مدينـة (خربوط) ، وكان يـترد علـى العـراق والشـام باسـتمرار والتقـى في مدينـة معـرة بالشاعر العربي المعروف ابو علاء المعـري وبحـث معـه في العديـد مـن المسـائل الشعرية، ولفت اشعاره انتباه الشاعر ابو العلاء، ونظراً لكفائتـه وقدرتـه جعلـه الامير نصر الدولة لفترة مسؤولاً عن ديوان الكتابة والبريد وكان من واجبات هذا الديوان تدوين وكتابة الرسائل وارساله الى خـارج، زار المنـازي ولمـرات عديـدة

وبمهمة رسمية مدينة قسطنطينية (اسطنبول) عاصمة الدولة البيزنطية، وكلف بعد ذلك الى شغل منصب الوزير.

كان للمنازي ديوان شعر ولقلة المخطوطات لم يتسن لاحد الحصول عليه، وما وجد المؤرخون ابيات قليلة في مستوى عالٍ وقيمة المؤرخين وعظموه توفي المنازي سنة ٤٣٧هـ - ١٠٤٥م.

٣- ابو نصر حسن بن اسد بن حسن الفارقي: (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

كان رجلاً مخلصاً وطنياً صاحب موقف في مدينة (ميافارقين) كان لفترة مسؤولاً عن الشؤون المالية في مدينة (آمد) إبان الحكم المرواني بعد احتلال اقليم الجزيرة وسقوط الدولة الدوستكية - المروانية انظم ابو نصر الى صفوف المعارضة للسلطة السلجوقية، وعندما مات (ملك شاه) السلجوقي ونشبت العداوة بين ابنائه استغل الفرصة وقاد حركة يضم الطلبة والشباب في مدينة ميافارقين بغية احياء الدولة المروانية، لذلك أعدم وبقرار من (تتش) السلجوقي سنة ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م في مدينة حلب.

كان ابو نصر بن اسد الفارقي كاتباً لغوياً ونحوياً جيداً وكان يملك مواهب شعرية وله ديوان شعر والمؤلفات الاتية:-

١ - شرح الكتاب اللامع لابن جني.

٢ - الافصاح في شرح ابيات مشكلة الاعراب.

٣ - كتاب الغاز.

اسئلة :

١- من هو الامير باد بن دوستك؟ وما هو دوره في تأسيس الدولة الدوستكية؟

٢- عدد اهم المشاريع العمرانية للامير (نصر الدولة) وتحدث عن واحد منها ؟

٣- أعد التقريراً عن احد المشاهير التالية (الشاعر والاديب حسين بن داود البشنوي، الشاعر ابو نصر المنازي، الخطيب يحيى بن سلامة الطنزي).

٤- ما هو دور ابو نصر بن اسد الفارقي في مقاومة السلطة السلجوقية؟

المصادر:

١ – الفارقي – تاريخ الفارقي.

٢ –ابن الاثير – الكامل في التاريخ.

٣ – ابن خلكان – وفيات الاعيان.

٤ – عبدالرقيب يوسف – تاريخ الدولة الدوستكية.

٥ – عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين.

٣- حضارة الدولة الايوبية (٥٦٧- ٦٥٨هـ - ١١٧٢ – ١٢٦٠م)

تأسست الدولة الايوبية من قبل السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي كوردي سنة ٥٦٧هـ – ١١٧٢م في مصر وتوسعت بعد ذلك لتشمل مناطق الشام والجزيرة واليمن. ينحدر الايوبيون من قبيلة الروادي التابعة لعشيرة الهذبانيين الواسعة الانتشار، هاجر شادي بن مروان الجد الاكبر لامراء الايوبيين في بداية القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي وبدعوة من مجاهد الدين بهروز صديقه القديم والذي كان حينذاك مسؤول كبير في العاصمة بغداد مع عائلته من قرية (اجندانقان) القريبة من مدينة (دوين) في اقليم ارمينيا الى العراق واستقر في قلعة تكريت شمال بغداد وبأمر من بهروز تولى شادي وابنائه ايوب و شيركو مهمة حماية القلعة وادارتها.



صورة قلعة صلاح الدين في القاهرة صورة ضريح السلطان صلاح الدين الايوبي في ديمشق

توفي شادي بعد فترة و دفن في تكريت وفي سنة ٥٣٢هـ– ١١٣٧م ولد يوسف بن ايوب والذي عرف بعد ذلك بالسلطان صلاح الدين، وفي نفس السنة اضطر ايوب وشيركو الى مغادرة تكريت بعد حادثة قد وقعت وتوجهوا الى مدينة الموصل واتصلوا بـ(عمادالدين الزنگـي) حاكم المدينة وضواحيها، حيث استقبلهم بحفاوة ورحب بهم وانضموا في صفوف الجيش حيث وظف بعد ذلك ايوب الاخ الاكبر مديراً لشؤون مدينة بعلبك في بلاد الشام.

ولقب شيركو بـ(اسد الدين) وبعد ان باشر في صفوف الجيش اثبت جدارته وشجاعته ورجولته واصبح قائداً بارزاً في صفوف الجيش الى ان استطاع قيادة جيش زنگی صغير ان يعبر صحراء سيناء ويسيطر على مدينة القاهرة التي كانت عاصمة الدولة الفاطمية سنة ٥٦٤هـ – ١١٦٩م. توفي (شيركو) بعد شهرين فجأة، بعد مشاورات وتبادل الاراء من قبل قادة الجيش توصلوا الى ان يشغل صلاح الدين يوسف موقع عمه.

كيفية تأسيس الدولة الأيوبية

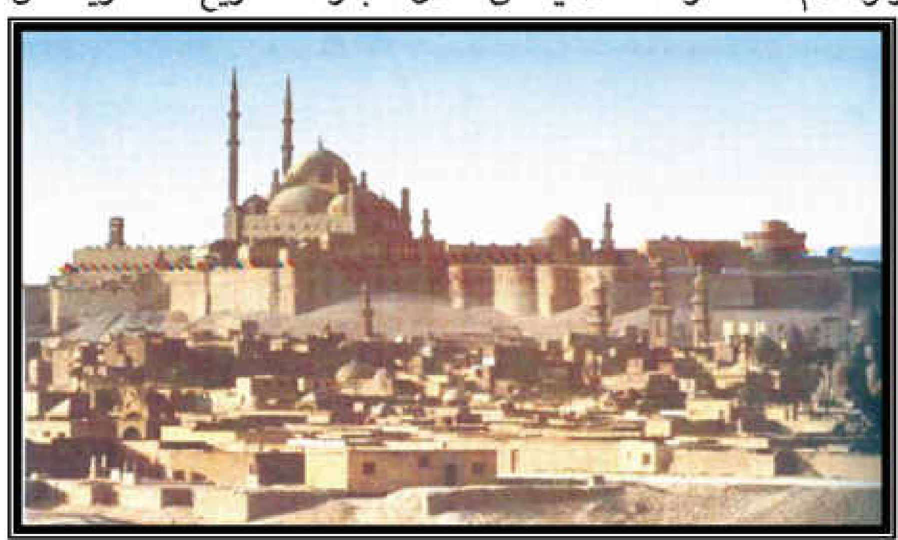
قام صلاح الدين سنة ٥٦٧هـ– ١١٧٢م بتفكيك الخلافة الفاطمية الشيعية وأسس الدولة الايوبية وقرر ان يقوم خطباء الجمعة في الجوامع بقراءة خطبهم باسم الخليفة العباسي السني، وقام الخليفة بتقدير هذا الموقف ونظراً للانتصارات صلاح الدين في محاربة الصلبيين ولقبه بـ(الملك الناصر). وعلى الرغم من أن الدولة الايوبية كانت خارج كوردستان الى انها كانت نقطة مهمة في تاريخ كوردستان في القرون الوسطى لانها تسببت في ظهور عشائر وقبائل كوردية كانت غير معروفة قبل ذلك. واثبتت هذه العشائر قدرتها انذاك اذا ما سمحت لهم الفرصة ان تكون لهم دور قيادي بارز في توجيه الامور بالاتجاه

الصحيح وان يكون لهم بصماتهم الجيدة في تاريخ الانسانية، ولان الايوبيين كانوا يتمتعون بجذور كوردية عميقة ويدرسون الواقع كوردي بشكل جيد ادركوا هذه الحقيقة واخذوا مقدرة الشعب الكوردي بنظر الاعتبار في تثبيت دعائم الدولة والمجتمع وخاصة هذه الدولة الباكورة التي تأسست في المهجر في رفع المستوى العلمي والثقافي في بلاد الشام ومصر، لذلك عندما سيطر الايوبيين على مقاليد الحكم ارسلوا للمحاربين الكورد وطلبوا منهم المشاركة في جبهات القتال ضد الصلبيين والانفراط في صفوف الجيش الايوبي هذا من الجهة

ومن جهة اخرى شجعوا المثقفين والمتعلمين الكورد الهجرة الى بلاد الشام والمصر والانظمام الى مؤسسات العلمية والثقافية للدولة، وكان الامراء والقادة العسكريون الكورد يأملون ان ينالوا شرف المشاركة في جهاد لذلك عندما رفع اسد الدين شيركو عم السلطان صلاح الدين راية الجهاد وقاد الجيش الدولة الزنگيه ضد الصلبيين وبعده جاء السلطان صلاح الدين حاملاً نفس الراية انضم اليه العشرات من الامراء والقادة الكورد مع العديد من المقاتلين من ابناء عشائرهم (هكارى، مهرانى، هزبانى، زرزارى، حميدى، حكمي، داسانى....الخ) واتجه في الوقت نفسه المئات من الائمة وطلاب العلم من شارزور و اربيل(هولير) و شنگال و أورمية وآكري و آمد ومن شمال كوردستان. ولغرض التعلم اتجهوا الى حلب ودمشق والقدس والقاهرة والاسكندرية ومدن اخرى واستمروا في التعلم بأشراف عمالقة العلماء في بلاد الشام ومصر حتى صاروا أئمة وخطباء ومؤذنين في الجوامع والمدارس.

اهتمام الايوبيين باعمار المؤسسات العلمية والخدمية :

مما يجدر بالذكر ويجذب الانتباه في تاريخ الايوبيين هو أنهم الى جانب ادارة المعارك والفتوحات الاسلامية وتحرير اراضي واسعة للمسلمين من السيطرة الصليبين ودمرهم الى ضفاف البحر المتوسط فقد حاول السلطان صلاح الدين وبقية امراء الدولة الايوبية خدمة المجتمع الاسلامي من ناحية العبادة والشؤون الدينية الاخرى. فقد خصص المسؤولون الايوبيون قسطاً وافراً من حياتهم لازدهار وتقدم للحضارة الاسلامية من خلال انجاز المشاريع الاعمارية مثل



صورة قلعة صلاح الدين في القاهرة

تفعيل وتنشيط الحركة العلمية والثقافية وتشجيع العلماء والادباء ومساعدة الطلاب وتفعيل دور التربية والتعليم وفتح العديد من المدارس والمراقد وتأمين مستلزمات تلك المدارس وقد صرفوا اموال طائلة لهذا الغرض فقد اثبت ابناء العائلة الايوبية قدراتهم اينما حلوا و اظهروا اهتمامهم بالعلم والتربية وتركوا اثار بصماتهم عليها. فقد بنى والد صلاح الدين(نجم الدين ايوب) خانقاهاً في مدينة بعلبك للزهاد والمتصوفين، كما بنى جامعاً في مدينة القاهرة ايضاً، وبنى عم

صلاح الدين (أسدالدين شيركو) جامعاً ومدرسةً في مدينـة حلـب، كمـا ان اخـت صلاح الدين (ست الشام) قامت ببناء مدرسة في دمشق.

كما قام صلاح الدين نفسه مع اخوته وأبنائه واحفاده طـوال اكثـر مـن نصـف قـرن ببنـاء عشـرات المسـاجد والمـدارس والخانقاهـات ودور علـم والـربط ودار الحـديث وبنـاء مؤسسـات الخدميـة والخيريـة مثـل (الناصـرية) و (العادليـة) و (الافضلية) و (الصالحية) ... الخ.

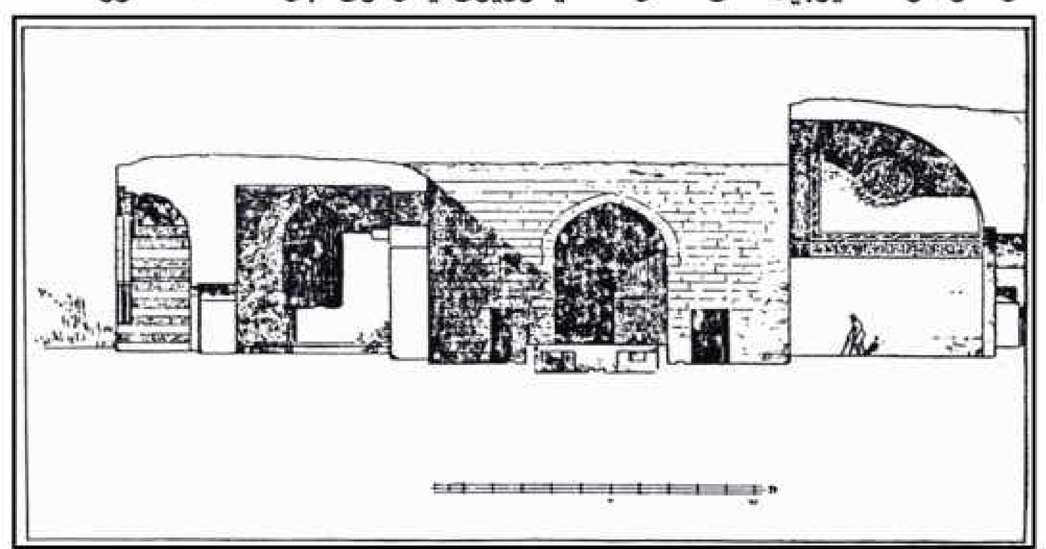
كما ساهم الامراء والحكام والمسؤولين الكـورد في الدولـة الايوبيـة شـأنهم شـأن السلاطين الايوبيين في حملة بناء والعمران ولم يدخروا جهداً متـى سـنحت لهـم الفرصة للعمل بجهد واخلاص واتقان. وقام الاميران خؤشترين الهكـاري وقطـب الـدين التليـل الهزيـاني ببنـاء مدرسـتين في القـاهرة والـتي سميتـا بمدرسـتي (الهكارية والقطبية)، ويأتي هذين الاميريـن في مقدمـة امـراء الكـورد الايوبيـة في هذه الناحية. وسبقهم في ذلك الامير مجاهدالدين ابراني بن مامنس الطلالي الذي قام ببناء مدرستين في دمشق والتي عرفتا بالمدرستين (المجاهديـة الجوانيـة) و (المجاهديـة الابرانيـة). ولمعرفـة مـدى حجـم مشـاركة الشخصـيات الكورديـة في عملية بناء وعمار المؤسسات العلمية والثقافية والخدمية، نأخذ مدينـة حلـب في شمال بلاد الشام كنموذج، حيث اقـام في هـذه المدينـة اكثـر مـن (٢٠) جامعـاً ومدرسةً وحماماً وخانقهاً من قبل المسؤوليين والاثرياء والتجار وأناس خيرين.

فقد قدم الكورد التيموريون المشاريع الاتية الى مجتمع في الشام:-

قام الكـورد التيموريـون ببنـاء ثـلاث مـدارس ومستشـفى واحـد وخـريجيين في دمشق ومدرسة في حلب واخرى في مدينة الخليل وقبة في القدس.

المستشفى التيموري في دمشق:

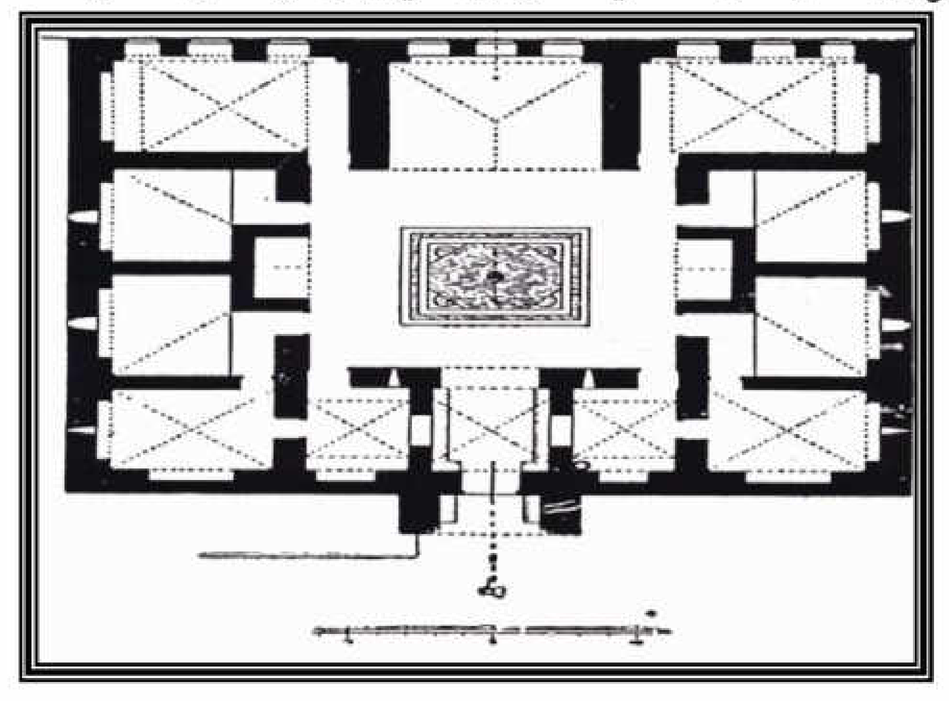
بنى هذا المستشفى على نفقة الامير سيف الدين يوسف بن ابو الفوارس بن موسك التيموري بالقرب من جبل قاسيون لكي يتسنى للفقراء والمحتاجين وجميع المسلمين الاستفادة منها وبدون مقابل. لبى الامير سيف الدين بالاضافة الى امراء ورجال قبيلة تيمور نداء (الملك الصالح) الايوبي وفي سنة ٦٤٢هـ - ١٢٤٤م وتوجهوا من قلعة تيمور القريبة من مدينة سعرد الى بلاد الشام واتصلوا بالملك الصالح وبايعوه. كان الامير سيف الدين التيموري من الشخصيات السياسية والاجتماعية البارزة لدى الكورد وكان محبوباً من قبل امراء وملوك الايوبين كان الامراء التيموريون يكرمون جراء اخلاصه ووفائه



المستشفى التيموري الذي بني من قبل الامير سيف الدين التيموري الكوردي سنة ٦٥٣هـ - ١٢٥٥م في دمشق.

على الدوام ويوهبونه اراضي زراعية خصبة حتى استطاعوا ومن خلال فترة قليلة ان يملكوا العشرات من القرى والبساتين والاسواق والحقول في مدينة دمشق وضواحيها. مما جعل الامير سيف الدين ان يرفع عن هذه الممتلكات

البيع ويجعله وقفاً وخاصة في دمشق وجاء في بيان الوقف ان مصاريف



خارطة اساس المستشفى التيموري فى دمشق

المستشفى من الادوية والاغذية والمستلزمات الاخرى واجور الاطباء والممرضين والمشرفين عليها والحراس والسقاة وخدمة المستشفى والمؤذنين وخطباء الجوامع تدفع من الايرادات تلك القرى والاراضي الزراعية والبساتين التي شملها الوقف.وجاء في بيان الوقف ان الجهة الامامية للمستشفى مخصص لكل موظف في المستشفى ينقش عليها الراتب الشهري له ويحدد نسبة منه بعملة فضية أي بدرهم والبقية يدفع بالقمح وثبت في البيان ان الاموال التي تدفع من ضمن ايرادات الاماكن التي تشملها الوقف تصرف لاطلاق سراح السجناء المسلمين وتوزع على الفقراء والمحتاجين. ولازال هذا المستشفى قائماً الى يومنا هذا ويدل على ابداع وموهبة الكورد التيموريين وقدم خلال هذه الفترة الطويلة خدمات جليلة الى سكان دمشق.

جامع (جاكي) في القاهرة:-

جاكي أو چاكى هـي عشـيرة كوردية صـغيرة غـير معروفـة، تشـردت هـذه العشيرة في اواسط القرن السابع الهجـري الثالـث عشـر المـيلادي نتيجـة الهجـوم الدموي للمغول الى بلاد الشام ومصر وبـرزت في المنفـى شخصـيات عسـكرية و ادارية ودينية كالامير سيف الدين والعالم الديني محمد بن درباز الجاكي والشيخ جاكي واخرون كان لهم الاثر في التاريخ السياسي والحضاري المصري خاصة في النصف الثاني للقرن السابع الهجري الثالث عشر مـيلادي. اعتمـد مسـؤلوا وذو النفوذ في عشيرة جاكي على دسـتور امـراء التيمـوريين والهكـاريين والهزبـانيين وكانوا راغبين ومتحمسين لبناء مؤسسات خيرية وخدمية وقـاموا ببنـاء مسـجد ومرقد في القاهرة. كان الجامع الجاكي في الاساس جامعاً قديماً وصـغيراً ومهمـلاً في حي (حكر) قام باعمار الامير بدرالدين بن شرف الدين الجـاكي سـنة ٧١٣هـ ١٣١٣م واضاف اليه منبراً ليصبح الجامع الرئيسي لالقاء الخطب واداء الصلاة، وكان الشيخ حسين الجاكي اماماً وخطيباً له. ظل هذا الجامع عامراً حتـى سـنة ٨١٦هـ- ١٤٠٣م وتؤدي فيه الصـلاة وتلقـى فيـه الخطـب وأهمـل هـذا الجـامع عندما دمـر حـي حكـر واصـبحت محـيط الجـامع مهجـوراً وبطلـت فيـه الصـلاة والخطب.

واتخذ الشيخ حسين الجاكي في حي حكر وبالقرب من الجـامع منـزلاً لـه ومكانـاً للعبادة وتوجيه وارشاد سكان القاهرة وعندما توفي دفـن في نفـس المكـان سـنة ٧٣٧هـ- ١٣٣٦م وكان سكان المنطقـة يـترددون علـى مرقـده الى وقـت قريـب لاعتقادهم المتين بقدسيته.

الاسئلة :

١ – من هم الايوبيون؟ وكيف وصلوا الى السلطة؟

٢ – لماذا اهتم امراء وقادة الايوبيون ببناء الجوامع والمدارس؟

٣ – اذكر اسماء الامراء والقادة الذين قاموا ببناء الجوامع والمدارس في مصر والشام.

٤ – اكتب تقريراً عن مستشفى التيموري في دمشق او جامع الجاكي في القاهرة.

المصادر: ١– ابو شامه، الروضتين في اخبار الدولتين.

٢ – ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب.

٣ – ابن خلكان، وفيات الاعيان.

٤ – ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة.

٥ – اليونيني، ذيل مرأة الزمان.

٦ – المقريزي، خطط المقريزي.

٧ – النعيمي. الدارس في تأريخ المدارس.

٨ – احمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الاسلام.

٩– قادر محمد حسن، الكورد في مصر وبلاد الشام. دراسة حضارية.

١٠ – زرار صديق توفيق، (رۆڵی سیاسی وئاواكاری كورده تیموریه‌كان)

البند الثالث

دور العلماء الكورد في الحضارة الاسلامية

منذ ان انتشرت القراءة والكتابة والارث الاسلامي في اقاليم كوردستان لم يقصر طلاب العلم من الكورد في تعليم وبلوغ درجات العلم والمعرفة واظهروا واثبتوا اخلاصهم بغية الحصول على العلوم الفكرية وعبروا حدود كوردستان الى الموصل وبغداد وحلب ودمشق والقاهرة واماكن اخرى و واصلوا دراستهم على يد كبار العلماء والمفكرين المسلمين وحصلوا على العديد من الاختصاصات والشهادات العالية. بعد انقضاء أيام الامارات الكوردية المحلية يلاحظ تراجع الحركة العلمية وحركة التعليم بشكل كبير وضعفت النشاطات الثقافية والعلمية واهملت المدارس والجوامع وفقدت الاهمية التي كانت لها ولم تكن تشهد الاقبال الواسع عليها ولم تبدِ السلطات السلجوقية اهتماماً جدياً بطبقة المثقفين الكورد مما اطفأ الحماس الذي كان موجوداً عند الطلاب. وظهر على مدى القرون الوسطى مجموعة من العلماء والمفكرين والكتاب الكورد وكان لها ابداعات كبيرة في مجالات عدة كالادب والعلوم والفكر واللغة والشرع والفقه واشتهر قسم منهم في علوم وتفسير القرآن وبرز منهم قضاة ومفسرين ولغويين ومؤرخين وخبراء في علوم الحديث (محدثين) وأئمة وخطباء وكان بعضهم معروفين على صعيد العالم الاسلامي وتؤخذ بآرائهم. والذي يطرح السؤال ويثير الانتباه ان كل المعروفين الكورد الذين ألفوا الكتب التزموا باللغة العربية والذي يبرر ذلك ان اللغة العربية قبل كل شيء هي اللغة القرآن الكريم ولغة الرسول (ص) وصحابته كما كانت تعد اللغة الرسمية الاولى لدى السلطات الثقافية والادارية في العالم الاسلامي كما قام الاغلب المؤلفين والمثقفين في الشعوب المسلمة بانتاج

ابداعاتهم بهذه اللغة ولم يرغب طبقة المثقفين الكورد الخروج عن المألوف والمتبع بل كتبوا بهذه اللغة لكي يتسنى لجميع القوميات المسلمة قراءة هذه النتاجات والاستفادة منها هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كانت اللغة الكوردية لغة التحدث فقط حتى عهد العثماني وكان شائعاً بين الاوساط الفكرية والثقافية ان اللغة الكوردية لا يمكن ان يصبح لغة الكتابة الرسمية، وكان العنصريون والشوفينيون ينشرون اكاذيب مفادها ان اللغة الكوردية لم تصل بعد شأن اللغة العربية والفارسية والتركية ولا تصلح لأن تكون لغة الكتابة وحققوا انتصاراً ملحوظاً في هذا المجال واستطاعوا تهميش الكورد.

وعلى الرغم من ان مشاهير الكورد اهملوا لغتهم الاولى في نتاجاتهم ولم يفكروا فيها مطلقاً الا انهم حافظوا على هويتهم القومية وحملوا اسماء الاقاليم والمناطق التي عاشوا فيها و كانوا يفتخرون بها.

واذا القينا نظرة على المصادر التاريخية نجد نتاجات وابداعات المئات من الشخصيات الكوردية ك(الاربيلي والشهرزوري و الدينوري والآمدي و الارموي و الهكاري و الهذباني و الجاواني و الگورانى و الزرزاري و الماراني) هؤلاء كان لهم دور بارز واثبتوا جدارتهم في انواع المعارف و العلوم و الثقافة و الموروث الاسلامي و بلغوا مراتب رفيعه بأعمالهم و قاموا باغناء الحضارة الكوردية منهم:

١- الفقيه الحنفي ابوعبدالله الگورانى (٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م):

هو الحسين بن ابراهيم بن حسين بن جعفر من قبيلة (گوران) العريقة و جاءت تسميتها في المصادر العربية بـ(الجوزقان) سكنت هذه القبيلة في مرتفعات حلوان و شارةزور و مدن (دەرتەنگ و سرپول زهاو) العريقة.

درس ابوعبدالله الگوراني على يد كبار العلماء العراقيين و الكوردستانين المذهب الحنفي و علوم القرآن و الأحاديث النبوية حتى اصبح عالماً و مختصاً في المنطقة و كانت تؤخذ بآراءه في علوم الحديث و تميز الاحاديث الضعيفة من الضعيفة و المصنوعة و اُلف كتاباً في هذا المجال بعنوان (الموضوعات في الاحاديث المرفوعات) و يعرف بين العلماء بكتاب (الاباطيل) و الذي حدد فيه الاحاديث الضعيفة وحفظ بعض نسخ المخطوطة منها فى مكتبة (جيهان)، حتى اصبح هذا الكتاب موضع جدل بين علماء الحديث و أيدّ بعضهم ملاحظات و انتقادات ابو عبدالله و كانوا يعتقدون انه نجح الى حد بعيد. و ألف ابو عبدالله كتاب آخر بعنوان (التكليف في الفروع) وتوفي سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م.

٢- الشيخ احمد الزرزاري (٥٩١ هـ / ١١٩٥ م):

ابو العباس احمد بن عثمان بن ابوعلى مهدي الزرزاري العالم و الرجل الكريم القارىء البارز و الكبير للقرآن الكريم في مدينة اربيل (هولير) و يعتقد أنه ولد في احدى قرى قبيلة الزرزارية في اوائل القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي، و الزرزار أي زراري قبيلة كبيرة وذو نفوذ واسع في منطقة اربيل.

ومما يجدر ذكرة ان مدينة أربيل(هولير) شهدت نهضة حضارية كبيرة في العهد الاتابكي (٥٢٢ – ٦٣٠ هـ / ١١٢٨ – ١٢٣٣ م) كانت أربيل (هولير) قرية صغيرة مهمله تحولت بعد ذلك الى مركز ثقافي و تجاري مهم و زين المئات من الجوامع و المدارس و المزارات الدينية والاسواق هذه المدينة مما اعطته قوية مما جعلته برز فيها شخصيات علمية و ثقافية من سكنتها خدموا الحضارة الاسلامية ومن بينهم الشيخ احمد الزرزاري.

التقى ابن المستوفي مؤلف كتاب (تاريخ هولير) بالشيخ احمد و كان يتردد الى مجالسه و يحضر خطبه و دروسه يمدح فيه و يصفه بالرجل المتقي و المؤمن الى درجة جعل من الامراء و المسؤلين يترددون الى منزله للقائه.

قام الشيخ احمد طلباً للعلم و المعرفة بمغادرة أربيل(هولير) و كوردستان و الذهاب الى الموصل و بغداد و اصفهان و هيرات للقاء كبير العلماء و لسنوات عديدة درس علوم القرآن و الاحاديث النبوية و استمع في مدينة هيرات التابعه لاقليم خراسان الى كتاب (صحيح البخاري)، وبعد عودته الى مدينة هولير فضل الشيخ حياة الاعتكاف في المنزل و الى ان وافاه الاجل كان منشغلاً بالصلاة و قراءة القران. وتوفي سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م.

قام الشيخ احمد بتأليف كتابين حول علوم قراءة القرآن هما (المؤنس) و (المنتخب) و يبدوا ان كليهما قد ضاعا.

٣- قبيلة جاوان الكوردية و خدمة الموروث الاسلامي:-

الجاوانية هي قبيلة كوردية كثيرة الفروع سكنت في العصر العباسي جنوب كوردستان في مناطق مندلي و الكوت و الحلة جنوب بغداد على الضفة الغربية لنهر دجلة.

أسس امراء الجاوانية في سنوات القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي امارة حكم و لفترة تزيد عن قرن و نصف القرن مساحة واسعة في وسط وشرق العراق، و كان لرجال هذه القبيلة تأثير واضح على سير احداث العراق في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

ولم تكن مشاركات هذه القبيلة قليلة في عالم الادب و العلوم و الثقافة و أمـارهم جديرة بالأشارة و تأتي في المقام الاول للقبائل الكوردية و بـزرت فـيهم العديـد من الفقهاء و الشعراء و الكتاب، منهم:

أ- ابو سعيد الجاواني (٤٦٨ – ٥٦١ هـ / ١٠٧٦ – ١١٦٦ م):

محمود بن على بن عبدالله الجـاواني ولـد سـنة ٤٦١ هــ / ١٠٧٦م ودرس في مـدارس و جوامـع بغـداد علـى يـد كبـار العلمـاء المسـلمين كالامـام الغزالـي و عمادالدين الطبري المعروف بـ(الكياهراسي) و ابوبكر الشاشي، وكان لابو سعيد الجاواني خبرة واسعة في الفقه و الاحاديث النبويـة، كمـا كـان لـه أثـر واضـح في الشعر و الادب العربى عموماً على الرغم انه لم يتضح لحد الان وجود ديـوان لـه وذكرت المصادر العديد من الابيات الشعرية له كما قام بتأليف كتاب حول الفن الشعري كما فسر كتاب (شرح مقامات الحريري) لمؤلفه الحريري.

ب- الشيخ ورام الجاواني (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م):

الشيخ ورام بن الامير ابوفراس العيساوي بن الامير ابو نجم الجاواني من ابرز واشهر الشخصيات الدينية في قبيلة الجاوانية، ولـد في سـنة ٥٣٠ هــ / ١١٣٥ م، على الرغم من أنه كان من عائلة الامراء الجاوانية إلا أنه ابتعد عن امـور الامـارة و الجـيش و خصـص حياتـه للعبـادة وكـان يقضـي اوقاتـه في قـراءة القـرآن و التضـرع حتـى اصـبح مـزاراً يـترد عليـه النـاس نظـراً لزهـده و تقـواه و كـانوا يحضرون خطبه و دروسه و يأخذون بنصائحه.

قام الشيخ ورام بتأليف كتاب (تنبيه الخواطر و نزهة النواظر) والذي اشهر (بجمع الشيخ ورام) وهد عبـارة عـن مجموعـة مـن الخطـب المتعلقـة بالعبـادة و

الارشاد و السير على نهج الرسول (ص) و صحابته توفي الشيخ ورام سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨ و دفن في مقد الامام علي بن ابي طالب في النجف الأشرف.

جـ- الشيخ مطلب بشير الجاواني (٥٤٧ - ٦٢٤ هـ / ١١٥٢ - ١٢٢٧م):

الشيخ مطلب بن بدر بن مطلب بن زهمان البشيري من عشيرة البشيري احدى عشائر قبيلة الجاوانية، ولد سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢م، قضى اكثر حياته في بغداد عاصمة الخلافة العباسيه ودرس فيها، كان ذوخبرة واسعه في علوم الحديث و الشريعه على مستوى العراق، توظف في مدارس بغداد بصفة مدرس، والمؤرخ (المنذري) هو من الذين درسوا عند الشيخ مطلب و نال الشهادة عنده، توفي الشيخ مطلب سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧م في بغداد و دفن فيها.

د- الفقية الشافعي ابن الصلاح الشهرزوري (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ / ١١٨١ - ١٢٤٥م):

تقي الدين عثمان بن صلاح الدين بن عبدالرحمن بن عثمان بن موسى بن ابو نصر الشهرزوري ابن الصلاح ولد في قرية (شرخان) ببلاد الشهرزور سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م من عائلة مرموقة و متعلمة كان والده سلام (٥٣٧ - ٦١٨ هـ / ١١٤٣ - ١٢٢١م) استاذاً دينياً بارزاً في المنطقة لذلك اشتهر عثمان ابنه باسم (ابن الصلاح).

انهى (ابن الصلاح) المراحل الابتدائية من تعليمه في جامع شهرزور و تعلم الفقه الشافعي عند والده، ارسله والده الى الموصل لمواصلة تعليمه واستمع هناك الى دروس عمادالدين بن يونس (ابن يونس) بعد ذلك اتجه الى خراسان ودرس طويلاً في علم الحديث ثم هاجر الى بلاد الشام ودرس في مدارس القدس و

دمشق الذي انشأه السلطان صلاح الدين الايوبي و عائلتـه، وواصـل التـدريس لفترة طويلة و كان موضع احترام كبير عند عائلة الايوبيين.

الى جانب مهنة التدريس كان (ابن الصـلاح) مفسـراً للقـرآن والاحاديـث النبويـة الشريفة و كان مفتياً ناجحاً، وجمعت فتاواه من قبل طلابه في مجلد .

ألف عدة كتب ومنها:

١- علوم الحديث.

٢- كتاب حول مناسك الحج.

٣- طبقات الشافعية.

٤- ادب المغتبي.

كان ابن الصلاح منشغلا بالتدريس و الافتاء الى أن توفي في شهر ربيع الثـاني من سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م، حيـث وري جثمانـه الثـرى في مقـبرة الصـوفيين في مدينة دمشق.

هـ- ابن الحاجب الكردي (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ / ١١٧٤ - ١٢٤٨ م):

الفقيه المالك اللغوي عثمان بن عمر ابوبكر بن يونس الدويني الـروادي، ولـد في آواخر آيام سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ م في مدينـة (آسـنا) التابعـه لمحافظـة قـوس في صعيد مصر، كان والده حاجباً لدى الامير عزالدين الموسكي بن چكو الكردي، اشـتهر الفقيـه عثمـان بلقـب (ابـن الحاجـب) و كـان الامـير عزالـدين إبـن خـال السلطان صلاح الدين الايوبي.

كانت اسرة ابن الحاجب تنحدر من قبيلة الروادي (رەوەند) التابعـه لعشـيرة الهزبانيين و كانوا في الاصل مـن سـكنة منطقـه الـدوين في اقلـيم ارمينيـا حيـث

كانت منتدى لعشيرة الهزبانيين إبان العصور الوسطى وكانوا برفقة الايوبيين عندما عبروا الشام و مصر و استقروا بشكل نهائي في المهجر.

أرسل ابن الحاجب في نعومة اظفاره الى مدارس القاهرة ليتعلم القرآن و فقه ابن مالك انشغل بعد ذلك بدراسة اللغة العربية و كان له دور بارز في قضايا النحو و الصرف و كان له العديد من و جهات النظر و التى مازالت الى يومنا تؤخذ بنظر الاعتبار كان العديد من الناس في مدن القاهرة و دمشق و الاسكندرية يحضرون دروسه و يستفيدون من و جهات نظره وآرائه السديدة الى أن وافاه المنية في مدينة الاسكندرية في شهر شوال من عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م، وألّف عدة كتب في مجالات شتى ومنها النتاجات التالية:

١- المنتهى في أُصول الفقه.

٢- الشافية في الصرف. (حول صياغة الكلمات في اللغة العربية).

٣- الكافية في النحو (حول صياغة الجمل في اللغة العربية).

الكورد و كتابة التأريخ:

مشاركة المؤرخين الكورد و القاطنين في مدن كوردستان الذين لم يتبين بانهم من اصول كوردية أو لا في كتابة التاريخ جدير بالاهتمام و البحث لان نتاجاتهم كشفت صفحات غامضة ومجهولة من التاريخ. و انقذوها من الضياع و النسيان و هذه النتاجات، إما تاريخ عام للعالم الاسلامي ،أو لمدينة كوردية او أقليم كوردي. ومن المؤرخين الكورد الذين ألفوا كُتباً حول التاريخ العام:

١- الدينوري المولودفي مدينة (دينور) التابعة لاقليم جبال (شرقي كوردستان) صاحب كتاب (الاخبار الطوال)

٢- ابن الاثير المولود في جزيرة (بوتان) و الذي ألف بعض الكتب التأريخية، من ضمنها (الكامل في التأريخ) ، (التأريخ الباهر) ، (اللباب في تهذيب الانساب).

٣- ابن شاهنشاه من أحفاد الامير شاهنشاه أخو السلطان صلاح الدين الايوبي ومؤلف كتاب (مضمار الحقائق).

٤- ابن خلكان من عشيرة الزرزاري و صاحب كتاب (وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان).

٥- عزالدين محمد من احفاد الامير خوشترين (هكاري) من قادة السلطان صلاح الدين و صاحب كتاب (تاريخ ابن أبي الهيجاء).

٦- الامير اسماعيل على المعروف بـ(أبو الفداء) من آل الايوبي صاحب كتابي (المختصر في أخبار البشر) و (تقويم البلدان).

وكان من بين المؤلفين و المؤرخين الكورد، من أرّخ لموطنه الذي ينتمي اليه والمدينة التي ولد فيها وترعرعمثل(تأريخ آذربيجان) الذي ألف من قبل (ابن أبي الهيجاء الروادي) و يشتبه بأنه كان من امراء عشيرة الروادي.

و (تأريخ آمد) و (تأريخ حصن كيفا) و (تأريخ آخلات).

ومن المؤرخين الآخرين الذين ارّخوا للمدن: الفارقي الذي ارّخ لمدينة (ميافارقين) (من مدن شمال كوردستان) واشتهر كتابه بتأريخ الفارقي، وابن المستوفي الاربلي صاحب كتاب تاريخ اربل.

وباستثناء (تأريخ الفارقي) و المجلد الثاني من (تأريخ اربل) فقد ضاعت الكتب الاخرى ولم تصل الينا.

إبن خلكان (٦٠٨ – ٦٨١ هـ/ ١٢١١ – ١٢٨٢ م) ابـن خلكـان اسمـه أحمـد بـن محمد بن ابراهيم بن ابـوبكر ابـن خلكـان تشـتهر عـائلتهم باسـم جـدهم الكـبير (خلكـان) ولـد في ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م، مـن في عائلـة متدينـة و مرموقـة كورديـة زرزارية في قلعة أربيـل، أكمـل المراحـل الاوليـة لدراسـته في كتاتيـب و مـدارس أربيل و من ثم استم في دراسته عند العالم كمال الدين بن يونس (إبن يونس) في مدينة الموصل و في مرحلة شبابه خرج مـن أربيـل و بقصـد الدراسـة توجـه الى بلاد الشام التي كانت حينها جزءاً من الامارة الايوبية و بقي مدة من الـزمن مـن مدينة حلب و تتملذ على يد القاضي بهاءالدين بن شداد (إبن الشداد) توجه الى (القاهرة) و هذم في المؤسسات القضائية للدولة الايوبية. يعتبر (إبن خلكان) من أعظم و أشهر المؤرخين و الشخصـيات العلميـة و القضـائية الكورديـة، و كـان على مستوى عال من الابداع و الكفائة و الذكاء و كان خبيراً بارعاً في الشريعة و القضاء الاسلامي، و كان محل رضا و استحسان الملوك الايـوبيين و المماليـك، و عمل مدة من الزمن في منصب قاضي القضـاة في دمشـق و بـلاد الشـام و هـو اعلى سلطة قضائية، و ذاع صيته و قاض عـادل، و مـن ثـم قـام بالتـدريس في مدارس دمشق لمدة عشر سنوات و توفي سنة ٦٨١ هجرية / ١٢٨٢ ميلادية.

رغم انشغاله باعمال القضاء و التدريس، كان ابن خلكان مولعاً بكتابة التأريخ، و كما يقول هو نفسه كان يحـب كـثيراً أن يحصـل علـى المصـادر التاريخيـة و يتداولها الا ان تكون لدية معلومات واسعة عن رجالات التاريخ و في دمشق وضـع كتابه (وفيات الأعيـان وأنبـاء ابنـاء الزمـان) الـذي يعتـبر و بشـهادة البـاحثين مصدراً اصيلاً وقيماً و فريداً و كتب بلغة فصيحة و اسـلوب جميـل، حيـث قـام

المؤرخ بالاهتمام بالجزئيات الدقيقة واستخدم اسلوب سلس و طريقة غير معقدة و أزال كل الاخبار التي هي محل الشكوك و الإرتياب.

و نشر كتابه في ثمانية أجزاء ضخمة، و يحتوي على تأريخ حياة و سيرة أكثر من ٨٦٥ شخصية إسلامية، بعضهم من الكورد من الملوك و الامراء و القادة و العلماء و الشعراء و القضاة و الوزراء والادباء و المؤرخين و يعرض الكتاب معلومات كثيرة و معترفة بها و يسد ثغرة في المكتبة التأريخية.

الكورد و الطرق الصوفية :

التصوف كما يعرفه المفكر الاسلامي (إبن خلدون) (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ – ١٤٠٥ م) عبارة عن التخلي عن ملذات و مباهج الحياة و التفرغ لعبادة الله عزوجل و التخلي عن جمال و خضرة الدنيا و الابتعاد عن كل الاشياء التي يتلذذها الانسان من الاستجمام و الثروة و المنصب، و التمسك بالخلوة بقصد العبادة، وهذا كان عند صحابة الرسول (ص) و الاجداد القدماء صفة عمومية وشائعة و لكن بعد أن نشأ حب الدنيا عند الانسان، ظهر التصوف عند اولئك الاشخاص الذين حافظوا على العبادة.

كان للرجال العظام من الكورد دور بارز في حركة الطرق الصوفية و نشر الفكر و العقيدة العبادية و الانعزالية بين فئات المجمتع الحقيقة ان عدداً كبيراً من الشيوخ و المرشدين للطرق الصوفية في القرنين الخامس و السادس الهجريين (الحادي عشر و الثاني عشر الميلادي) من الأولياء و العلماء الكورد و منهم على سبيل المثال لا الحصر::

١– الشيخ محمد الشنبكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

٢- الشيخ ابوبكر الهواري (القرن الخامس الهجري) من عشيرة الهواري القاطنين في منطقة البطائح جنوب العراق.

٣- الشيخ ابو الوفاء الحلواني المعروف بـ(تاج العارفين) من عشيرة النرجسي و هي عشيرة تتفرع من عشيرة (طاوان) و هو من اكبر و اشهر المرشدين للطرق الصوفية في كوردستان، وكان الشيخ عبدالقادر الطيلاني من مريدي الشيخ أبو الوفاء الحلواني تتلمذ على يديه العبادة و كان له كرامات.

٤- الشيخ جاطيري الزاهد (٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م) و الشيخ جاطير، اسمه الحقيقي هو محمد بن الدشم الزجسي ينحدر من عائلة كوردية تنتمي لعشيرة الطاوان، و هو امتداد لكبار مرشدي للطرق الصوفية في العراق، كتبت عنه مصادر التصوف و تحدثوا عن كراماته و حياته في الخلوة في صحراء قاحلة و زاوية بعيدة ابتعد فيها الناس و شغل بالعبادة الى أن وافاه المنية سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤م، بعد ذلك قام سكان سامراء و ماجاورها باعمار قرية قرب مرقده و التي ماتزال باقية الى يومنا هذا و تسمي (رازان) و تقع الى الشرق من نهر دجلة على بعد ٢٤كم من مدينة سامراء.

وبعد وفاة الشيخ (جاطير) سار لخوته و ابناء اخوته على نهجه و استمروا الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادي.

الاسئلة:

١– لماذا لم يكتب المفكرون الكورد نتاجاتهم بلغتهم الام (اللغة الكوردية)؟

٢– لماذا كان الطلاب الكورد يتركون الوطن و يتوجهون الى المدن الكبرى في العالم الاسلامي ويهاجرون اليها؟

٣– عرف الطرق الصوفية واذكر اسماء كبار المتصوفين الكورد؟

٤– من هم اولئك المؤرخين الذين ألفوا كتبا عن تأريخ الكورد و كوردستان؟

٥– أعد تقريراً قصيراً عن أحدى هذه الشخصيات:– (إبن الحاجب ، الشيخ أحمد الزرزاري ، أبو عبدالله الگوراني).

المصادر

– ابن خلكان، وفيات الاعيان.

– الذهبي ،سير اعلام النلاء

– الشطنوفي، بهجة الاسرار و معدن الانوار.

– العماد الاصفهاني ،خريرة القصر و جريدة العصر

– ابن كثير، البداية و النهاية.

– ابن المستوفي، تاريخ أربل

– المنذري – التكملة للوفيات النقلة.

– اليونيني ذيل مرآة الزمان

– محمد أمين زكي، مشاهير الكورد و كوردستان.

– مصطفى جواد، جاوان القبيلة الكوردية المنسية.

– د. قادر محمد حسن، إسهامات الكرد في الحضارة الاسلامية(دهوك: ٢٠٠٩).

الفصل الثامن

الحضارة الاوبية في العصور الوسطى

مدخل :

العصور الوسطى من تأريخ أوروبا هي تلك الفترة التي تمتد من نهاية العصر القديم مع سقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب سنة ٤٧٦ ميلادية الى بداية عصر النهضة في القرن الرابع العشر استغرقت ثمانية قرون من تاريخ اوروبا. وفي تلك الفترة كانت حضارة الشعوب الاوروبية تعاني من الضياع و الفراغ و الميراث الفكري للعصور القديمة و واقعة تحت ضغط السلطة الروحية الدينية و الكنسية و بذلك أفلج تقدمهُ و تطوره، ولم ترق الى تقدم الحضارة الاسلامية ولكن كان هناك بنية ملائمة لتنمية أوروبا، التي أثمرت في العصر الحديث و أدى تقدم الحضارة و أثر بشكل إيجابى على العالم قاطبة.

البند الاول

أ - الدين و المجتمع الاوروبي

١- الكنيسة المسيحية :

الدين المسيحي ظهر كديانة سماوية في فلسطين، و المسيح (عليه السلام) هو النبي و المبشر لهذه الديانة ارسل في سبيل القضاء على الفساد و الظلم و الرذيلة و نشر التوحيد و المحبة و الود بين بني البشر.

إنتشرت المسيحية بسرعة هائلة بين أقاليم و مناطق الدولة الرومانية و آمن بها الكثير. وبعد ثلاثة قرون من ظهورها إعترفت بها الامبراطورية الرومانية كديانة و انتهى عصر الظلم و الاستبداد الذي تعرض خلاله المؤمنون بالمسيحية على يد السلطات الرومانية وفي سنة ٤٣٨ ميلادية اصبحت المسيحية الديانة الوحيدة المعترفة بها من قبل الامبراطورية الرومانية و حُظِرَت الوثنية و عبادة الاصنام، وأصبحت المسيحية المكون و الموجه الرئيسي للحضارة الاوروبية آنذاك.

كانت الكنيسة في المسيحية مكاناً للعبادة و التطهر من الذنوب، وفي بداية إنتشار الديانة و مع ازدياد عدد المؤمنين اسست الكنائس لتسيير امور المسيحيين، ولكن بعد أن انتشرت المسيحية في العديد من المناطق و تأثرت بالديانات المحلية سارت الى التعقيد بشكل تدريجي و آثرت على تنظيم الكنائس و اصبح لكل كنيسة رئيسها الخاص يسمى بالاسقف و يعاونه عدد من القساوسة.

٢- ظهور البابوية :

في عصر الامبراطورية الرومانية كانت كنيسة (روما) ذات قاعدة خاصة و فريدة لكونها كنيسة عاصمة الامبراطورية وآثبتت بعض النصوص الدينية و

الثقافية علو مركزها بين الكنائس المسيحية الاخرى كان ينظر الى كنيسة (روما) كالكنيسة الام باعتبار أن (بطرس الاول) احد حواريي المسيح (عليه السلام) كان لمدة من الزمن رئيسا لكنيسة (روما) و اعطيت قدسيته لمن شغلوا مكانه بعده.

وفي سنة ٤٥١ ميلادية أعطي (مُنح) لقب البابا (خادم خدام الله) لاسقف روما و كانت هشاشة سلطة الامبراطورية الرومانية سبباً لتقوية نفوذ القساوسة والباباوات في روما بحيث اصبح البابا قائداً لتسيير امور كافة الكنائس المسيحية الغربية وال بابا في تاريخ المسيحية كان (ليو الأول).

ومن اهم الباباوات آنذاك (كلمنت الاول ، سيلفستر الاول ، گريگور الكبير ٥٩٠ – ٦٠٤ م).

٣- الرهبانية (الرهبنة):

ظهرت الرهبانية كظاهرة مسيحية في القرن الثالث الميلادي على الرغم ما كون ظاهرة العبادة في الخلاء و الخلوة مع الله و الإبتعاد عن الناس لها جذور.

شرقيته تعود للحضارات الهندية و الصينية، لكن في الديانة المسيحية و منذ بداية العصور الوسطى انتشرت و اصبحت جزءاً من الحياة الدينية للمسيحين.

و الجدير بالذكر أنْ من اهم اسباب ظهور الرهبانية هو الايمان الديني القوي و الخلاص من الاضطهاد و تعويض الخسارة في الدنيا.

ومن ابرز الرهبان في العصور الوسطى مؤمن مصري يسمى بـ(باخومينوسى) (٢٨٦ – ٣٤٦ م) و يعد من منظمي حياة الرهبنة في المسيحية، لانه قرر مع بعض من اصدقائه أن يعيشوا معاً و يبتعدوا عن الكسل و الملل و يعملوا و يثابروا بعيدا عن الناس في أحدى الكنائس و يتفرغوا للعبادة وفق قانون خاص

و لهذا أصبح العيش في الأديرة واجهة بارزة في حياة الرهبانية(الرهبنة) ،وما عدا باخوميرس يعتبر كل من القديس بازل و القديس بندكسن من الاسماء اللامعة في حياة الرهبانية (الرهبنة).

٤- المفكرون في الديانة المسيحية :

بعد إنتشار الديانة المسيحية في الدولة الرومانية كثر عدد المؤمنين. ظهر من بينهم العديد من الشخصيات الدينية الذين كان لهم دور هام و بارز في تطوير الفكر الديني المسيحي و حاولوا أن يكون لهم تحليلهم الخاص للحياة.

يعتبر القديس أوغسطيني (٣٥٤ — ٤٣٠ ميلادية) من ابرز المفكرين المسيحين في بدايات العصور الوسطى حيث عبر عن افكاره حول الدين و الماضي و الحياة، ومن أهم كتبه (الاعتراف Con Fessions) و (مدينة الله The city of Good)، ويتحدث في كتابه الثاني عن الانسان حيث انه في حياته يعيش مواطنا لمدينتين اولاهما مدينة الارض و ثانيهما مدينة السماء أو (الله) و المدينة الاولى نموذج للفساد و سلطة الشيطان و المدينة الثانية نموذج للحسنات و هو سلطة المسيح ، ووفق هذا المقياس يفسر (اوغسطيني) اسباب ضعف و سقوط الدولة الرومانية.

البابا گريگور الاول ٥٩٠ — ٦٠٤ يعتبر كرجل محسن و مثقف ومن خيرة رجالات عصره اكثر مما يعتبر كـ(بابا) ذو خبرة في الديانة المسيحية وألف العديد من الكتب منها كتاب (المناقشات) حيث يتحدث عن الحياة الدينية.

ب - العلم و الثقافة :

في بدايات العصور الوسطى، انتشرت الديانة المسيحية بحيث ادى الى تلاشي الوثنية بشكل تدريجي، لذلك بدأت في اوروبا مرحلة فكرية جديدة في

تـأريخ اوروبـا، وحـل الادب المسـيحي محـل الادب الكلاسـيكي (اليونـاني و الروماني)، ولمدة من الزمن بدأت علـوم الفكرو التعلـيم بالـذبول و التهمـيش و كان يجب على كل من يعمل في هذا المجال أن يخدم الكنيسة.

وفي القـرن الثـامن و بدايـة القـرن التاسـع المـيلادي ظهـرت بعـض المراكـز الثقافية، وأوضـع تلـك المحـاولات تتمثـل في نهضـة ثقافيـة تسـمى بـ(النهضـة الكارولنجية)، و كانت الدولة الكارولنجية جزءاً بارزاً من سلطة اوروبا الغربية. وفي عصر شارلمان (٧٦٨ – ٨١٤ م) جرى الاهتمـام بـالعلوم و كـان شـارلمان نفسه يشجع العلماء و يعاونهم.

وإن لم تكن نهضة كارولنجية طويلة الامد لكنها كانت المحاولة الاولى لـذوبان و تفعيل العناصر الثقافية الكلاسيكية و الجرمانية و المسيحية في بوتقة واحدة.

١- مراكز الثقافة :

في بدايات العصور الوسطى، لم تكن لاوروبا رواج ثقافي يذكر، لكن في القـرن التاسع الميلادي و ما بعـده ظهـرت في بعـض المـدن الاوروبيـة حركـة تعليمـة و علمية و تجمع حولها العلماء و طلاب العلـم و كانـت مـدن سـالرنول الايطاليـة و وفولدا الالمانية و باريس و شثارتز الفرنسية من ابرز مراكز الثقافة في اوروبا.

وبدأت الكنائس في هذه المدن و مناطق اُخرى من أوروبا بفتح مراكز لتعليم القراءة و الكتابة و العلوم.

٢- الفلسفة المدرسية (سكولاستيك):

الفلسفة المدرسـية هـي الفلسـفة المسـيحية للعصـور الوسـطى في اوروبـا و كانت تسمى (المدرسية) لأنهـا كانـت تـدرس في مـدارس اوروبـا آنـذاك ، يعتـبر

(القديس انسلم اوف كنتربري) الذي توفي سنة ١١٠٩م، مؤسساً للفلسفة المدرسية، حيث كان رجل دين و فيلسوفاً بارزاً في عصره، و حاول اثبات وجود الله و حقائق الديانة المسيحية بالبراهين العقلية.

كان فلاسفة اوروبا في تلك المدة يحاولون تنسيق الفلسفة مع الديانة المسيحية و التقريب بينهما و لهذا الغرض تمت في القرن الثالث عشر الميلادي في اوروبا ترجمة الكتابات الفلسفية لأرسطو الى اللغة اللاتينية ومن ثم ترجمة كتب الفيلسوف المسلم (ابن رشد) و كان لكتب هذين الفيلسوفين مكان بارز في الجامعات الاوروبية.

(توما الأكويني) (١٢٢٥ – ١٢٧٤م) كان احد فلاسفة اوروبا البارزين آنذاك وفي كتابه المشهور (مختصر اللاهوت) أو (الخلاصة اللاهوتية) يفسر بعمق الافكار الكنسية الكاثوليكية و حاول تنسيق افكار و اراء ارسطو مع إرشادات الكنيسة. الفلسفة المدرسية استمرت خلال العصور الوسطى، وفي القرن الرابع عشر الميلادي بدأت بالذبول و التلاشي تدريجيا.

٣- الفن المعماري:

في القرون الوسطى، اهتم الناس باعمال البناء و العمارة و ظهر كفن هندسي جميل بحد ذاته ، و أصبح ذلك جلياً في بناء القصور و البنايات و أماكن العبادة ،وخاصة الكاتدرائيات التي بنيت في شتى أنحاء اوروبا.

ومن الطرق العامة في العمران في تلك الفترة (الهندسة الرومانسية) والتي كانت تستخدم لبناء الكنائس حيث بنيت سقوفها من القرميد و كانت جدرانها سميكة و لها قاعة رئيسية و كان يدخل اليها من الجانبين ممران ضيقان و ذلك لتثبيت السقف بواسطة الاعمدة التي كانت بينهما.

وكان هناك قوس يربط بين رؤوس الاعمدة و في الكنيسة الرومانية كانت النوافذ صغيرة لحماية قوة الحيطان و الجدران نوع اخر من الهندسة المعمارية كان هو الفن المعماري القوطي نسبة الى القوطيين (احد الشعوب القديمة في اوروبا) و كان عبارة عن قصور ضخمة و عالية و تحتوي على القاعة و النوافذ الكبيرة وفي هذا الفن النوعية لايعتمد على الجدران السميكة وانما على الاعمدة و الاقواس في السقوف و زجاجات داكنة للنوافذ، زينت جدرانها بالصور و الكتابات المختلفة، و كانت وراء ذلك دوافع دينية لكي يشبه نفس الانسان بالهيبة و السمو.

٤- ظهور الجامعات:

لم تستعمل كلمة الجامعة (Unoversity) لاول مرة في القرون الوسطى بشكل عام و شمولي لتجمع الاساتذة و المراكز العلمية و إنما للمنظمات و النقابات التجارية و المهنية المختلفة و كان تجمع الطلبة و الأستاذة حول بعضهم البعض يؤدي الى ظهور جمعية أو نقابة و بمرور الزمن اصبح اسم (الجامعة) يطلق على هذه الجمعيات التي كانت لها نظام تعليمى جديد. و كان التجمع الجامعي يتكون من شكلين، إما كان أستاذ مشهور يجمع حوله الطلبة و إما كان الطلبة بأنفسهم يكونون مجموعة و يقومون إستجار اساتذتهم. و بدأت الجامعة تدريجياً بأخذ اطار علمي و الظهور كمؤسسة بارزة في المجتمع تستوعب الطلبة من الشعوب المختلفة و يجب ان يدرس فيها فرع من فروع المعرفة من قبل الاساتذة المختصين وبهذا الشكل ظهرت الجامعات الاوروبية المستهورة في نهايات القرون الوسطى كجامعة باريس سنة ١٢٠٠ و بعد ذلك جامعة اكسفورد و كمبردج... الخ وكان يدرس فيها آنذاك الجانب اللغوي و الادبي و العلوم و كان على الطلبة أن يكونوا ذو سليقة و ذهن نير و صاف وأن

يكونوا مستمعين مثابرين و يتذكروا العلوم و المعارف بيدا و يحترموا الاساتذة و المؤسسة العلمية و يثابروا على القراءة و التعلم يعتبروهما مقدسين. وكانت مثابرة الشعوب الاوروبية جيلاً بعد جيل لها الفضل في وصول اوروبا الى ماهي عليها الان من تطور وتقدم حضاري مادي.

البند الثاني

الحضارة الاوربية في عصر النهضة

اولاً / عصر النهضة :

النهضة (Renaissance)يعني الإنماء والإحياء ، وفي تاريخ اوربا يقصد بها نهاية القرون الوسطى وبداية العصر الحديث أي من القرن الثالث عشر الى القرن السابع عشر الميلادي يسمى بعصر النهضة لأن اوربا شهدت في تلك الفترة صحوة وتنمية حديثة في مجال الفكر والابداع.

ونستطيع ان نقول أن انتعاش اوربا في تلك الفترة شملت كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والأجتماعية والفكرية مما جعل من عصر النهضة نهاية لعصر وبداية لعصر جديد.

ثانياً : خصائص عصر النهضة :

١- كانت بدايات مشروع وزيادة الانتعاش الاوربي في المدن الايطالية ومن ثم إنتشرت في أوربا وتأثرت به سائر بلدان العالم.

٢- كانت النهضة كحركة شمولية، نتيجة للحياة الحضارية ومتطلبات تقدم الجانب الاجتماعي ولاقتصادي للناس.

٣- قيم عصر النهضة موقع العقل في الحياة عالياً و أحلّهُ في مكانه المناسب وكان تفعيل و توجيه العقل يتطلب الابتعاد عن الخيال والاساطير والاشياء غير واقعية.

٤- الاهتمام بطبيعة والتركيز في جمال الطبيعة الذي مهد السبيل لاحقاً لشعور بالذات والمحاولة لتجسيد الذات في قرآة المحيط.

٥- ظهور الحركة الانسانية (Humanism) الذي يعبر بصفاء عن عصر النهضة الانساني هو ذلك الشخص الذي يهتم بالثقافة ويتفهمه كنتيجة للاهتمام بالعقل في فهم ظروف انماء الانسانية.

ونجاحة الثقافة في العصر الكلاسيكي (اليوناني و الروماني) الذي يضم المجالات المختلقة من اللغة و الادب و الفلسفة و تأريخ اليوناني و الروماني. و منذ ذلك الوقت سميت هذه المساهمة من المعرفة بالانسانية.

ثالثا/ الفن في عصر النهضة :

كان و منذ القدم للفن قيمة من قبل الانسان و ذلك بسب كون الفن انعكاسا المرآة الحياة و عن طريق الفن ارسل رسائل للمراحل المختلفة، احد ابرز ملامح تقدم النهضة الاوروبية الفن في عصر النهضة و نجاحه في مجالات الفن و الرسم و الفن المعماري.

ابرز فناني النهضة في ايطاليا :

التشكيلي (جيوتو ١٢٧٦ - ١٣٢٧) و كان فناناً بارزا و مشهورا في عصره و كانت له طريقته و الخامة بالرسم بالالوان الزيتية على الجدرات ومن تم يقوم يتزينه بالجص الخام و كان يزين حيطان الكنائس بهذه الرسومات التي كانت بعضها تبقى لامد بعيد و تحافظ على جمالتيها و رونقها.

(ليوناردو دافنشي) (١٤٥٢ - ١٥١٩) يعتبر من ابرز مبدعي عصره كان رساما و مهندساً معمارياً و ميكانيكياً و عالماً للطبيعة. في الوقت نفسه و كان يعيش في ايطاليا.

كان دافينشي يحاول أن يعرف من خلال فنه خفايا الطبيعة و يجسده و يصل الى الجمال الدقين و يرسمه في لوحاته، في عصر دافنيشي كان الرسم مقتصراً

على الجدران فقط و تستغل للامور الدينية، لكن اصبح التحرر من هذه السلاسل سمة منسمات الفن في عصر النهضة و ظهر اللوحات الفنية ذات الأطرة و قابلة للحمل بسهولة و كان للوحات دافينشي ذوق و جمال خاص.
ومن الاعمال الخالدة لـ(دافنشي) لوحة (موناليزا) أو (الجوكندا) والتي يعرفها معظمنا ومحفوظة الآن في متحف اللوفر بفرنسا، والتي تعد باتقان دقيق عن إبتسامة سيدة ايطالية و إختلطت بابصار ضبابي.
اضافة لذلك فان لـ(دافنشي) العديد من الابداعات الاخرى في المجالات شخصية في عصر النهضة.

مايكل انجيلو (١٤٧٥- ١٥٦٤م) احد فناني مجال النحت والرسم في عصر النهضة، تختلف تربيته وشخصيته عن شخصية (دافنشي) ذاع صيته كنحات اكثر من فنون الاخرى.
وكان يستلهم مواضيعه الفنية من التوراة وكان يرسم صوراً لانبياء اليهود والشخصيات التاريخية القديمة. واهتم (انجيلو) خلال نتاجاتها بالمرأة وجسد الانسان ورسم معظم رسوماته بشكل عاري. عارٍ منحوتة (داوود) احد ابرز الاعمال الفنية ل (انجيلو)والتي صُنعت من حجر مرمر وانجزها خلال ثلاث سنوات. وكذلك بناء كنيسة القديس بطرس بـ(الفاتيكان)التي تحتويان في داخلهما رسومات جدران القصر البابوي تجسد مشاهدات لبناء الكون وطوفان عصر نوح (عليها السلام) ويوم القيامة.

رابعاً / الادب في عصر النهضة :

شهدت المجالات المختلفة للادب ازدهاراً منقطع النظير والكتب العديد من النتاجات القيمة في تلك الفترة حيث لها الى يومنا هذا مكانتها المرمومة، ويعتقد العديد من المؤرخين ان بداية عصر النهضة تجسدت في الاعمال الادبية.

ويعتبر (دانتي ١٢٦٥– ١٣٢١م) احد اعظم كتاب ايطالية في عصر النهضة، وان كانت لغة العصر هي اللاتينية لكن دانتي كان يقيم عالياً لغته القومية وكان يعتقد بأن لغة الأم لها مكانتها البارزة في التقدم الثقافي للمجتمع. ولهذا دعى الى انفتاح اللغات القومية كي يكون الادب اكثر تأثيراً ويجمع حوله المواطنين في هذه البلدان. من ابرز اعمال (دانتي) المشهورة (كتاب الكوميديا الاهلية) حيث أختلطت خيالاته الشعرية بالدين وصور الجنة والنار يعتقد المؤرخون بأن دانتي وقع في هذه انتاجات تحت تاثير المفكرين الاسلاميين في عصر الخلافة العباسية.

و (بترارك) ١٣٠٤–١٣٧٤ م ،اديب آخر من عصر النهضة وان كان قد تاثر ب (دانتي) ولكن لم يكن مُقلداً و كان يعتقد بأن المفكر يهتم بعصره ويفهمه ولايلقى بالاً لما مضى، ونرى في كتابات (بترارك) احساساً مشوباً بالهموم والقلق النفسي، ويمكن ككاتب ذات حس رهيف وشغوفاً بالاغتراب.ومع هذا كان (بترترك) يحترم العلماء الذين سبقوه والفَّ كتاباً في هذا المجال تحت عنوان (رسائل الى ادباء الماضي) وكان (بترارك) في مجال التربية والتعليم يحب البساطة وعدم التعقيد ويدعوا الى تبسيط المواضيع التي تلقي على الطلبة.

(بوكاشيو) (١٣١٢ – ١٣٧٥) من الادباء والمفكرين الذين كانوا شخوقين باحياء وتنشيط الثقافة الكلاسيكية وكان يكتب باللغة الايطالية ومن أهم

نتاجاته كتاب (ديكاميرون) حيث عنى بالتاريخ الايطالي في القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي.

خامساً: طبع ونشر الكتب:

في العصور القديمة كان الانسان يكتب على الالواح الطينية او الحجر او الخشب، لكن ومنذ اواسط القرن الثالث العشر الميلادي ظهر الورق في اوربا، وفي القرن الخامس العشر تم استعمال حروف الطبع المعدني المتحرك وكان هذا اختراع بمشاركة العديد من العلماء والمثقفين، لكن التاريخ يذكر اسم العالم الالماني (غوتنبرگ) الذي قام بطبع الانجيل في حوالي سنة ١٤٥٥ بواسطة المطبعة.
وبعد المانيا انتشرت المطابع في ايطاليا والعديد من المدن الاوربية وتركت تاثيراً فعالاً على الحياة الثقافية.

أهم نتائج عملية الطباعة وانتشار المطابع:

١- كثرة عدد الكتب ورخص اثمانها والحصول عليها بسهولة.

٢- بسبب اعادة طبع الكتب أصبحت اوضح وأقل خطءً مما كانت عليها في السابق.

٣- النمو البارز للحياة العلمية والمعرفية للناس بسبب سهولة الحصول على كتب وازدياد القرأة بحيث اصبحت الثقافة اكثر شعبيةً ولم تبقى مقتصرة على عدد من المثقفين.

٤- رواج سوق الكتب والورق والمطابع والتجليد وانعكاسه على تجارة هذا العصر.

٥- ازدياد العلاقة الثقافية بين الاقاليم المختلفة وظهور المكتبات بشكل واسع كمركز اشعاع تنويري.

سادساً / الاستكشافات الجغرافية :

احد ابرز الملامح اوروبا في العصر النهضة هي الفعاليات الملاحية بحيث اصبح الاوربيون يقومون بنشاط استكشافي لمعرفة ماحولهم من العالم الخارجي والتي يسمى في التاريخ بالاستكشافات الجغرافية.

أ- اهم أسباب الاستكشافات الجغرافية:-

١- رغبة الاوروبين لاستكشاف الطرف التجارية الجديدة للوصول الى الهند والشرق الاقصى، بحيث لاتمر هذه الطرف بمناطق الامبراطورية العثمانية لأنهم كانوا على خلاف دائم مع الاوروبيين.

٢- كانت في بعض الاحيان لهذه الاكتشافات الجغرافية دوافع دينية تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية المسيحية لنشر الديانة المسيحية في تلك المناطق البعيدة والناتية التي لم تصل اليها دينهم.

٣- ازدياد المعلومات الملاحية والعالمية عندملاحي اوروبا جعلهم يشيحون رغباتهم في استكشاف المزيد من المناطق البعيدة.

٤- طلب الاوروبيين ورغبتهم في الحصول على البهار و(التوابل) من الشرق اضافة الى المواد التجارية الاخرى.

ب- تيار الاستكشافات الجغرافية:

تعتبر دولة البرتغال احدى الدول التي اهتمت بشؤون الاستكشافات الجغرافية وفي هذا العدد كان للأمير هنري الملاح المشهور دور بارز كصاحب سلطة حيث شجع وساند كافة جهود الاستكشافات الجغرافية، وفي عصره استكشفت سواحل افريقيا الغربية وبعد ذلك دار الملاح (فاسكودي غاما) حول (رأس الرجاء الصالح) سنة ١٤٩٨في جنوب افريقيا.

وكان لدولة إسبانيا ايضاً دور بارز في الاستكشافات الجغرافية وعلى رأسهم جميعاً الملاح (كريستوفر كولومبس) ١٤٤٦- ١٥٠٦ميلادية الذي كان ايطالي المولد وكان يعتقد بأن الارض دائري وتقع السماء الى الغرب من اوربا وقد ساندت السلطات الاسبانية كولومبس وفي سنة ١٤٩٢سار مع ٣سفن و ٨٧ شخصاً نحو الغرب بقصد وصول الى الصين ولكن بعد ٣٢يوماً وصلوا الى اليابسة والتي كانت عبارة عن (جزر الكنارى) وكان يعتقد بأنها جزر الهند الشرقية وسار كولومبس بعد ذلك في نفس الاتجاه نفسه فوصل الى سواحل الهندوراس وفنزويلا والى أن مات كان يعتقد بأنه رحل الى جزر الهند الشرقية ولهم يعرف بأنه اكتشف العالم الجديد (أمريكا).